جامعة المدينة العالمية
Al-Madinah International University

ARRASIKHUN JOURNAL

PEER-REVIEWED INTERNATIONAL JOURNAL

مجلّة الرَّاسخون

مجلّة عالميّة محكّمة

ISSN: 2462-2508
Volume 12, Issue 2, June 2026
الإصدار الثاني عشر، العدد الثاني، يونيو 2026

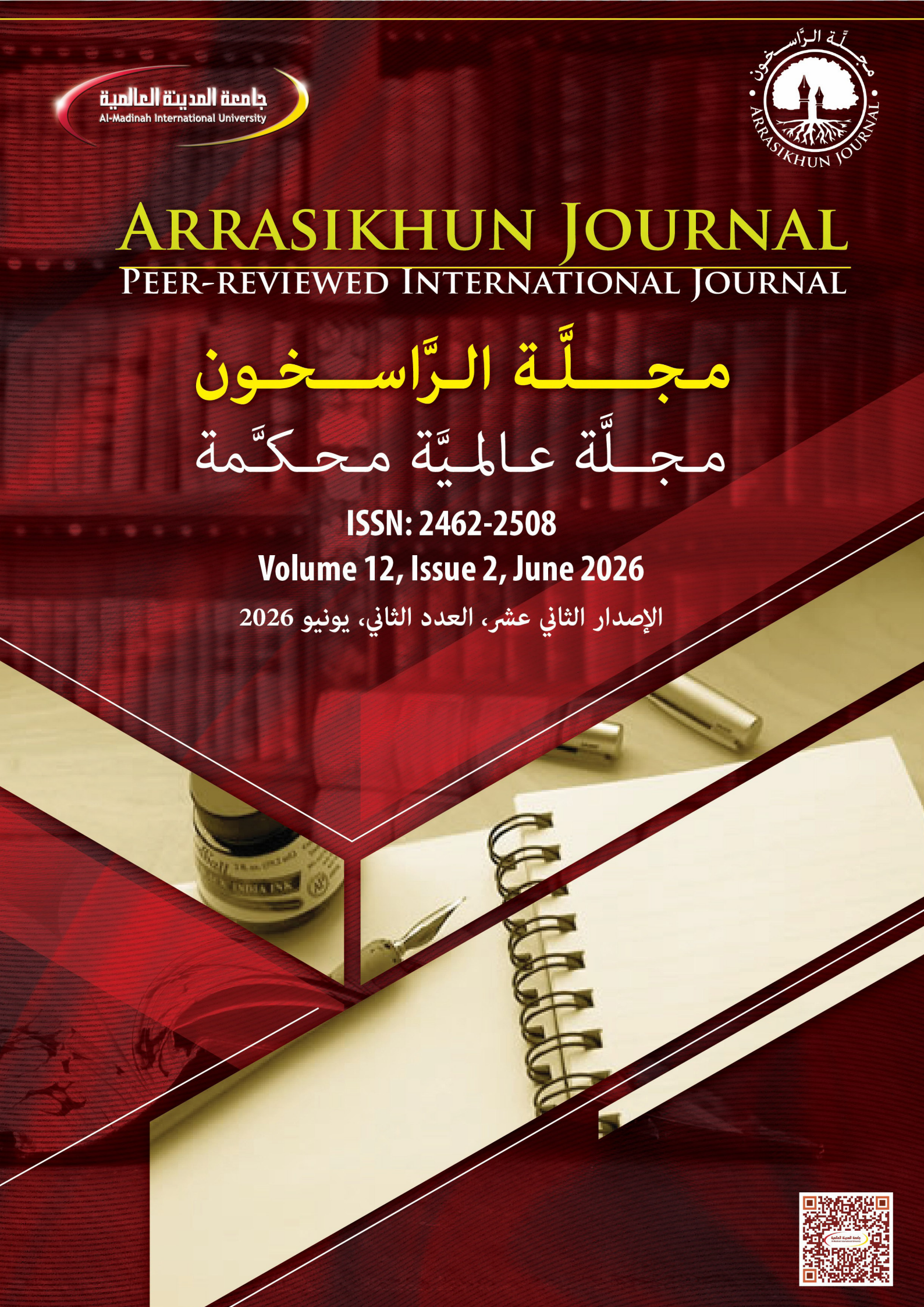

هيئة التحرير

مدير هيئة التحرير

الأستاذ المشارك الدكتور/

محمد صلاح الدين أحمد فتح الباب

نائب مدير هيئة التحرير (أول)

الأستاذ المساعد الدكتور/

سامي سمير عبد القوي

نائب مدير هيئة التحرير (ثان)

الأستاذ المشارك الدكتور/

عبد الكريم أحمد مغاوري

سكرتيرة هيئة التحرير

الأستاذة/ دينا فتحي حسين

مجلة الراسخون

ARRASIKHUN JOURNAL

مجلة عالمية محكمة

لإرسال المقالات والمشاركات
عبر البريد الإلكتروني

arrasikhun.journal@mediu.edu.my

فهرس العدد

المنظومات في القراءات الشاذة: دراسة وصفية تحليلية 7
دلالة تقديم المتأخر -زمناً أو حكماً- في القرآن الكريم (الموت والحياة -أنموذجاً) دراسة تحليلية سياقية 29
النداءات الإيمانية في سورة الحجرات وأثرها في بناء المجتمع المؤمن: دراسة تحليلية موضوعية 59
حَقِيقَةُ الوُدِّ وَدَلالاتُهُ السِّياقِيَّةُ في النَّصِّ القُرآنِيِّ 89
الاعتراض بطلب النقض لعيب في الإثبات في الفقه الإسلامي والأنظمة السعودية 121
آراء الإمام الطرطوشي المتعلقة بالقضاء ومسائله: دراسة فقهية تحليلية 149
عقد الإيجار في الفقه الإسلامي ونظام المعاملات المدنية السعودي دراسة مقارنة 183
اختيارات الإمام الطبري الفقهية في شروط القاضي وأدلة الإثبات 220
الإعلام الغربي وصناعة الصورة النمطية عن الإسلام والمسلمين: الإسلاموفوبيا أنموذجًا 246

ISSN: 2462-2508

النداءات الإيمانية في سورة الحجرات و أثرها في بناء المجتمع المؤمن: دراسة تحليلية موضوعية

The Calls to believers in Sūrat al-Ḥujurāt and Their Role in the Formation of the Believing Community: An Analytical Thematic Study

د. هند بنت منصور عون العبدلي

أستاذ مساعد في جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم القراءات

Dr. Hind bint Mansour Awn Al-Abdali

hind1419@hotmail.com

Al-Madinah International University
Journal Of Arrasikhun Journal,
Volume 12, Issue 2, June 2026
Copyright © 2026 Hind bint Mansour Awn Al-Abdali
Manuscript Received Date: 2026/5/6 |
Manuscript Acceptance Date: 2026/6/8 |
Manuscript Published Date: 2026/6/30

الملخص

تناول هذا البحث تحليل النداءات الإيمانية في سورة الحجرات بوصفها إطارًا تربويًا وتشريعيًا متكاملًا أسهم في بناء المجتمع المسلم على أساس الأدب الإلهي، والانسجام الاجتماعي، والتزكية القلبية. وقد استهلّ البحث ببيان مفهوم النداء في القرآن الكريم من الناحيتين اللغوية والاصطلاحية، مع إبراز أدواته وأغراضه البلاغية، ثم عرض تعريفًا بسورة الحجرات من حيث تسميتها، وزمن نزولها، وأبرز موضوعاتها. واعتمد البحث المنهج الوصفي بأداتيه الاستقراء والتحليل في حصر النداءات الإيمانية الواردة في السورة، وتفسيرها واستنباط دلالاتها اللغوية والبيانية والبلاغية والتربوية. وقد تبيّن من خلال الدراسة وجود خمسة نداءات إيمانية رئيسة شكّلت في مجموعها ميثاقًا أخلاقيًا متكاملًا؛ عالج علاقة المؤمن بربه ورسوله، ونظّم علاقته بالمجتمع، وخُتم بتطهير الباطن من آفات الظن والاعتداء المعنوي. كما أظهرت الدراسة أن تكرار النداء بصيغة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ لم يكن مجرد تكرار أسلوبي، بل كان أداة منهجية لتقسيم المقاصد السلوكية، وتجسيد التدرج التربوي القرآني من الظاهر إلى الباطن، ومن السلوك الفردي إلى النظام الاجتماعي العام. وخلص البحث إلى أن سورة الحجرات مثّلت دستورًا أخلاقيًا خالدًا تجاوز حدود الزمان والمكان، وربط بين الإيمان القلبي والاستقامة السلوكية، وأسهم في ترسيخ الأمن الاجتماعي، والتماسك المجتمعي، وصيانة الكرامة الإنسانية.

الكلمات المفتاحية:

النداءات الإيمانية، سورة الحجرات، الأخلاق القرآنية، البناء الاجتماعي في القرآن، البلاغة القرآنية، التربية الإيمانية.

Abstract

This study examined the analysis of the faith-based calls (īmān appeals) in Sūrat al-Ḥujurāt as an integrated educational and legislative framework that contributed to the construction of the Muslim community on the foundations of divine etiquette, social harmony, and spiritual purification. The study began by elucidating the concept of "calling" (nidāʾ) in the Qurʾān from both linguistic and terminological perspectives, highlighting its rhetorical tools and purposes. It then proceeded to introduce Sūrat al-Ḥujurāt in terms of its naming, period of revelation, and major themes. The study employed the inductive method to identify the faith-based calls mentioned in the surah, and the analytical method to interpret them and to derive their linguistic, rhetorical, expressive, and educational implications. The analysis revealed the presence of five principal faith-based calls which, collectively, form a comprehensive ethical charter: they regulate the believer's relationship with God and His Messenger, organize social relations within the community, and culminate in the purification of the inner self from the defects of suspicion and moral aggression. The study further demonstrated that the repetition of the call in the form "O you who believe" (yā ayyuhā alladhīna āmanū) was not merely a stylistic device, but rather a methodological tool aimed at structuring behavioral objectives and reflecting the Qurʾānic pedagogical progression from the outward to the inward, and from individual conduct to the broader social system. The study concluded that Sūrat al-Ḥujurāt represents a timeless ethical constitution that transcends temporal and spatial boundaries, linking inner faith with upright conduct, and contributing to the establishment of social security, communal cohesion, and the preservation of human dignity.

:Keywords

Faith-based calls, Sūrat al-Ḥujurāt, Qurʾānic ethics, social construction in the Qurʾān, Qurʾānic rhetoric, faith-based education.

مقدمة

الحمد لله الذي أنزل القرآن لنتخلق بأخلاقه، وامتدح نبيه فيه بالخلق العظيم، والصلاة والسلام على الداعي لحسن الخلق، وعلى آله وصحبه ومن تخلق بخلقه إلى يوم الدين، وبعد:

فإن سورة الحجرات من السور المدنية العظيمة التي دعت لمحاسن الأخلاق، وكثر فيها خطاب المؤمنين، وهي من السور القليلة في عدد آياتها، لكنها عظيمة جليلة في تشريعاتها وأحكامها، وهي ترسم معالم كاملة للمجتمع الإيماني الكريم، الذي يقوم على أصول وقواعد، تكفل قيام حياة كريمة هانئة متأدبة.

وقد أحببتُ أن أكتب في جانبٍ من جوانب هذه السورة، وهو جانب النداء الإيماني فيها، فسميت بحثي: (النداءات الإيمانية في سورة الحجرات وأثرها في بناء المجتمع المؤمن: دراسة تحليلية موضوعية).

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

1. كثرة ما اشتملت عليه سورة الحجرات من النداءات والأوامر والنواهي رغم قصرها.
2. الحاجة الماسة لمعرفة النداءات الإيمانية في تلكم السورة العظيمة، وما انطوت عليه من أخلاق وسلوك ومنهج حياة.
3. إبراز الجانب الموضوعي لهذه السورة، وبيان الوحدة الموضوعية والبيانية لها.
4. إظهار الجانب الإعجازي اللغوي والتشريعي والبياني في هذه السورة من خلال دراسات النداءات الإيمانية فيها.

أهداف البحث:

1. بيان مفهوم النداءات الإيمانية في سورة الحجرات وتحديد مواضعها.
2. تحليل النداءات الإيمانية في سورة الحجرات.
3. الكشف عن الدلالات البلاغية والتربوية للنداءات الإيمانية في السورة.
4. إبراز المنهج القرآني في توجيه المؤمنين وبناء العلاقات الاجتماعية.
5. الكشف عن أثر النداءات الإيمانية في بناء المجتمع المؤمن من خلال ترسيخ القيم الأخلاقية وتنظيم العلاقات الاجتماعية وفق المنهج القرآني.

مشكلة البحث:

تتمثل مشكلة هذا البحث في الحاجة إلى الكشف عن البنية المنهجية المتكاملة للنداءات الإيمانية في سورة الحجرات، واستجلاء وظائفها الدلالية والبلاغية والتربوية بوصفها نظامًا قرآنيًا يضبط حركة السلوك الإيماني في مستوياته المختلفة. كما تنبع المشكلة من ضرورة إبراز الكيفية التي تنتظم بها هذه النداءات في سياق واحد متدرج، يؤسس لمنظومة أخلاقية متكاملة تنتقل بالمؤمن من ضبط علاقته بالخالق والرسول إلى تنظيم علاقاته داخل المجتمع، وصولًا إلى تزكية الباطن وتنقية الدوافع القلبية.

الدراسات السابقة:

تنوعت الدراسات المتعلقة بالنداءات في القرآن الكريم، فمنها ما تناول النداءات في العموم، ومنها ما تناول النداءات في سورة الحجرات خاصة.

أما الدراسات التي تناولت النداءات في القرآن الكريم، فمنها:

1. النداء في القرآن الكريم دراسة بلاغية، لمؤلفه: عبد الله بن سعد الزهراني[1]، وهي دراسة بلاغية محكمة تناولت أسلوب النداء في القرآن الكريم، ومنه نداءات الإيمان، دون تخصيص سورة الحجرات بالدراسة.
2. النداءات الإيمانية في القرآن الكريم وأثرها التربوي، لمؤلفه: فهد بن عبد الله العتيبي[2].
3. وأما الدراسات المتعلقة بنداءات سورة الحجرات وأثرها في المجتمع فمنها:
4. القيم الأخلاقية والاجتماعية في سورة الحجرات، لمؤلفه: محمد بن عبد الرحمن القحطاني[3]، بحث محكم ركز على القيم الاجتماعية في السورة، وجاءت النداءات الإيمانية فيه بوصفها مدخلا لهذه القيم.
5. الآداب الاجتماعية في القرآن الكريم سورة الحجرات أنموذجا، لمؤلفه: عباس بن حسين الحازمي[4]، تناول المنهج القرآني في تهذيب السلوك الاجتماعي من خلال سورة الحجرات، مع إشارات إلى النداءات الإيمانية دون تحليل مستقل لها.
6. نداءات سورة الحجرات: دراسة تحليلية، لمؤلفه: عز الدين صالح مناري[5]، يهدف هذا البحث لدراسة النداءات وتحليلها واستخراج الهدايات القرآنية فيها، والتركيز على المشكلات المجتمعية، وتتفق مع دراستي في التركيز على المشكلات المجتمعية وأثر النداءات في تقويم المجتمع الإنساني والإسلامي خاصة.
7. النداءات الإلهية في سورة الحجرات: دراسة تحليلية موضوعية، لمؤلفه: عاطف محمد محمود الخولي، وقد تناول البحث النداءات في السورة وذكر كل ما يتعلق بها من اللغة والمعنى والقراءات والأحكام واللطائف، وقسم البحث حسب الآداب المتضمنة لهذه النداءات، وتتفق هذه الدراسة مع دراستي بأنها تناولت تحليل النداءات واستخراج الآداب منها، وتنفرد دراستي بالتعمق في أثر النداءات على المجتمع الإنساني.

هيكلة البحث:

يتكون البحث من:

(1) بحث محكم منشور في مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية، العدد (32)، 1434ه.

(2) بحث منشور في مجلة التربية الإسلامية بجامعة الأزهر، العدد (27)، 1440ه.

(3) بحث منشور في مجلة العلوم الشرعية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد (45)، 1436ه.

(4) بحث منشور في مجلة تبيان للدراسات القرآنية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 1436ه.

(5) بحث منشور في مجلة العلوم التربوية والدراسات الإنسانية، بجامعة تعز، العدد (7)، في ديسمبر، 2019م.

ISSN: 2462-2508

مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة، وفهارس:

المقدمة: احتوت على: أهمية الموضوع وأسباب اختياره، وأهداف البحث، ومشكلة البحث، والدراسات السابقة، وخطة البحث، ومنهج البحث.

المبحث الأول: مفهوم النداء في القرآن الكريم، وفيه ثلاثة مطالب: تعريف النداء، وأدواته وأغراضه البلاغية، وخصائص النداء الإيماني في القرآن.

المبحث الثاني: سورة الحجرات، تعريف عام، وفيه مطلبان: اسم السورة وزمن نزولها، وترتيبها في المصحف، وأهم موضوعاتها العامة.

المبحث الثالث: تحليل النداءات الإيمانية في سورة الحجرات، وأثر النداءات التعبدية والاجتماعية والأخلاقية في بناء المجتمع المؤمن.

الخاتمة، وفهرس المصادر والمراجع.

منهج البحث:

اتبعتُ في بحثي المنهج الوصفي بأداتيه الاستقراء والتحليل، في حصر الآيات التي احتوت على النداءات الإيمانية، وفي تفسير هذه الآيات واستنباط الفوائد منها.

المبحث الأول: مفهوم النداء في القرآن الكريم

المطلب الأول: تعريف النداء في اللغة والاصطلاح

النداء هو ظاهرة نحوية، لها بُعد اجتماعي تعبّر عن التواصل وتقوم على الخطاب المباشر، وسأورد هنا معنى النداء في اللغة والاصطلاح.

تعريف النداء لغة:

مصدر من الفعل الرباعي (نَادَى وناديْته منادَاةً ونداءً؛ أي: صاح به، وأنديتُ إنداءً، إذا أفضلتُ، وكل ما ظهر فهو نادٍ؛ كأنه نادى بظهوره، وناداه أي: جالسه في النادي.

ويقال: النِّداء والنُّداء بالكسر والضم لغتان، وهما نداء الصوت، وهو بُعدُ مداه[1].

وقد يطلق النداء على الاستعانة والدعاء، كما في قوله تعالى: ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ۝٣﴾ [مريم:3]، وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ۝٣٢﴾ [غافر:32] أي: يوم القيامة؛ لأن أهل الجنة ينادون أصحاب النار، وقيل: لأنه ينادى كل أناس بإمامهم[2].

فالنداء: صوتٌ يفيد معاني عدّة منها: الصياح، والدعاء، والاستغاثة[3].

اصطلاحًا:

عرّف أهل البلاغة والنحويون النداء بأنه: طلب الإقبالِ حسًّا بحرفٍ ناب منابَ لفظ (أدعو)، سواء كان ذلك الحرف ملفوظًا أو مقدرًا[4].

وعرّفه النحويون بأنه: الدعاء بأي لفظٍ كان[5].

فخلاصة ذلك: أن النداء يطلب به الإقبال، ولا

(1) ينظر: جمهرة اللغة لابن دريد مادة (دنواي) 2/1016، ومختار الصحاح مادة (ن د ا) ص307.

(2) ينظر: الغريبين للهروي 6/1822.

(3) ينظر: ظاهرة النداء في العربية لسلوى زهدي ص18.

(4) ينظر: مواهب الفتاح لابن يعقوب المغربي 2/333.

(5) ينظر: حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك 3/197.

ISSN: 2462-2508

يكون الإقبال إلا من البعيد، سواء كان الإقبال جسديًّا أو معنويًّا وحسيًّا[1]، وهو أسلوب للخطاب يؤدي معاني مختلفة حسب السياق وحالة المخاطب والموقف والصيغة التي يؤدى بها الأسلوب.

المطلب الثاني: أدوات النداء وأغراضه البلاغية

تختلف أدوات النداء وعباراته وفقًا لحالة المخاطَب أو المنادى من الإقبال والانصراف، وقد تنبه سيبويه لذلك فبيّن أن أول كل كلام نداءً، فإذا خاطبت رجلًا بعيدًا معرضًا عنك غير منتبهٍ إليك ولا مقبل عليك تقول: يا فلان أقبل، ولكنك تترك عبارة النداء (يا فلان) استغناءً بإقباله عليك[2].

وحروف النداء عددها: خمسة، وهي: «يا، وأيَا، وهيَا، وأي، والألف»[3]، وقد زاد بعضهم حرف: «وا»، وقيل: أن حرف «وا» قد تقوم مقام «يا» في النداء[4]، وجعلها بعضهم ثمانية حروف وهي: «الهمزة، وأي، ويا، وأيَا، وهيَا، وآيْ، وآ، ووا»[5].

وتختلف هذه الأدوات في نداء القريب والبعيد والمتوسط، فتستعمل الهمزة لنداء القريب خاصة، و»أي» لنداء القريب والمتوسط والبعيد، و»يا» لنداء البعيد غالبًا، و»أيا و»هيا» لنداء البعيد خاصة وقد ينادى بها القريب توكيدًا، وتختص «وا» بالندبة، ولا تستعمل «آ» و»آيْ» إلا لنداء البعيد[6].

أغراض النداء البلاغية:

تؤدي عبارات النداء معاني ودلالات عديدة، وسأعرض بعضًا منها:

النداء المحض:

وهو ما كان الغرض منه طلب الإقبال.

الاستغاثة:

وهي طلب الفرج والمعونة، واستغاثة الرجل: أيْ صاح، وا غوثاه، فهي الصياح بطلب الغوث، وقد عُرِّفت الاستغاثة على نداء لطلب الإغاثة والتخليص من الشدة[7]، وقد جعلها سيبويه تحت عنوان: «ما يكون النداء فيه مضافًا إلى المنادى بحرف الإضافة»، فالاستغاثة عنده نداء، والمستغاث منادى أضيف إليه حرف الجر[8]، وقال ابن مالك: «إذا استغيث اسم منادى»[9].

ومثال ذلك قول الشاعر:

يا لَقَوْمي ويا لَأمثال قومي

لأناس عُتُوُّهُمْ في ازديادِ[10]

التعجب:

وهو أن ترى الشيء يعجبُك فتظن أنك لم تر

(1) ينظر: مجازات النداء وحقيقته لظافر العمري ص164.

(2) ينظر: الكتاب لسيبويه 208/2.

(3) ينظر: المقتضب للمبرد 223/4، والأصول لابن السراج 40/1، والمفصل للزمخشري ص309.

(4) ينظر: شرح الرضي على الكافية 381/2.

(5) ينظر: المغني لابن هشام 76/1، وشرح الأشموني على ألفية ابن مالك 442/2.

(6) ينظر: الجمل للزجاجي ص155، والهمع للسيوطي 171/1.

(7) ينظر: لسان العرب مادة (غوث).

(8) ينظر: الكتاب لسيبويه 215/2.

(9) ألفية ابن مالك البيت رقم (598).

(10) ينظر: أوضح المسالك لابن هشام ص446.

جامعة المدينة العالمية Al-Madinah International University
ISSN: 2462-2508

مثلـه[1]، وهـو انفعـال النفـس عمّـا خُـفي سـببه، والنـداء بغـرض التعجـب: أن تـرى أمـرًا عظيمًـا فتنـادي جنسـه نحـو: يـا للمـاء!، أو تـرى أمـرًا تسـتعظمه فتنـادي مـن له نسـبة إليـه أو مَكَنَـة فيـه نحـو: يـا للعلمـاء![2] وينـادى للتعجـب فقـط بحـرف النـداء «يـا»؛ لأنهـا الأشـهر في النـداء فكانـت أولى أن تسـتعمل في المنـادى المتعجَّـب منـه[3].

ومثال ذلك قول الشاعر:

لخطـاب ليـلى يـا لبرثـن منكـم

أدلّ وأمـضى مـن سـليك المقانـب[4]

وقـد جعـل اللغويـون الاسـتغاثة والتعجـب غرضًـا واحـدًا، قـال ابـن مالـك:

ولام مـا اسـتغيث عاقبـت ألـف

ومثلـه اسـم ذو تعجـب ألِـف[5]

الندبة:

وفيـه تنزيـل مـا لا يعقـل منزلـة العاقـل المخاطـب، فالنـداء بصيغـة: «يـا ويلتنـا» أو «يـا حسرتنـا» كأنهـم ينـادون الحسـرة والويـل مـن ذهولهـم عـن واقـع الأمـر فنطقـوا بمـا يخالـف المعتـاد وهـو مخاطبـة مـا لا يسـتجيب، ويكـون الغـرض مـن ذلـك التنبيـه على مقـدار خيبتهـم وخسـارتهم، قـال تعـالى: ﴿أَن تَقُولَ نَفۡسٞ يَٰحَسۡرَتَىٰ﴾ [الزمـر:56]، كأنـه يقـول: يـا حسرتـا احـضري فهـذا أوانـك[6].

إظهار عظمة المنادي وعلو منزلته:

فينـادي الله تعـالى بعـض مخلوقاتـه بنـداء البعيـد تنبيهًـا على علـو مقامـه تعـالى ويكـون بعـد النـداء أمـر يـدل على طاعـة المخلوقـات وتذللهـا لله تعـالى، مثـل قـوله تعـالى: ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي﴾ [هود:44].

التشريف والتكريم والمدح:

فينـادي الله تعـالى بعـض خلقـه على الخطـاب للقريـب، ويسـتعمل في ذلـك أداة البعـد، فينـادي الأنبيـاء وصالـحي الخلـق[7]، وذلـك مثـل النـداء في قـوله تعـالى: ﴿قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ﴾ [البقـرة:33]، وقـوله تعـالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٤٥﴾ [الأحـزاب:45].

تعظيم الأمر المدعو له أو المنادى له:

فينبـه الله تعـالى على عظـم الأمـر الذي نـودوا مـن أجلـه، فالأمـر العظيـم يـدعى له المنـادَى بـأداة البعـد إذا كان المنـادَى غافـلًا أو سـاهيًا، أو أن الأمـر الذي دعي له أمـر عظيـم يسـتوجب بـذل غايـة الجهـد واسـتقصائه للوفـاء بحـق ذلـك الأمـر، وكـذا نـداء الرسـل لقومهـم بصيغـة: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ [الأعـراف:59] يـدل عظـم الأمـر، قـال تعـالى: ﴿قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖ﴾ [هـود:46]، وقـال تعـالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ

(1) لسـان العـرب لابـن منظـور 580/1 حـرف البـاء فصـل العـين المهملـة.

(2) ينظر: شذور الذهب لابن هشام ص184.

(3) ينظر: شرح الأشموني على ألفية ابن مالك 442/2.

(4) ينظر: خزانة الأدب للبغدادي 389/6.

(5) ألفية ابن مالك البيت رقم (600).

(6) ينظـر: حاشـية الشـهاب 48/4، وحاشـية ابـن التمجيـد 122/16.

(7) قـال القونـوي: «النـداء بصيغـة البعـد للتفخيـم» حاشـية القونـوي 301/16.

ISSN: 2462-2508

ٱلْكِتَٰبِ ﴾ [آل عمران:64][1].

النداء لتعظيم المنادَى:

وذلك في نداء الإنسان لخالقه عز وجل، حيث كثر في القرآن نداء الخلق لله تعالى بصفة الربوبية تضرعًا وتذللًا وخضوعًا، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ ﴾ [الفرقان:30]، وقد تحذف ياء النداء في هذا الغرض تنزيهًا وتعظيمًا لله تعالى؛ لأن في النداء طرفًا من الأمر[2].

تنبيه المنادى والحرص على إقباله:

قد ينادي المنادي لحرصه على إقبال المنادى فيصير عنده كالبعيد، وقد يخرج النداء لمعنى الاسترحام والاستعطاف فينادى بطريقة البعد، فالشي إن بعُد واشتد حرص النفس عليه وشوقها إليه فإنه يصير في كل ساعة في غاية البعد، قال تعالى: ﴿ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ ﴾ [طه:94]، وقال تعالى: ﴿ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ ﴾ [يوسف:11][3].

المطلب الثالث: خصائص النداء الإيماني في القرآن الكريم

اختصّت النداءات الإيمانية وتميّزت بعدة ميزات، منها:

تشريف المؤمنين:

فالنداء بصيغة «يا أيها الذين آمنوا» هو نداء تكريم وتشريف للمؤمنين بأنه يناديهم بدون وسيط بينه وبينهم، ويناديهم بأحسن الأسماء والصفات، مما يعطي لهم أهمية كبيرة وتشريفًا عظيمًا، قال ابن عاشور: «والتعريف بالموصولية في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ للتنبيه على أن الموصوفين بهذه الصلة من شأنهم أن يتقبلوا ما سيؤمرون به، وأنه كما كان الشرك مسببا لمشاقة لله ورسوله في قوله: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾ [الأنفال: 13]، فخليق بالإيمان أن يكون باعثا على طاعة الله ورسوله، فقوله هنا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ يساوي قوله في الآية المردود إليها: ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾ ﴾ [الأنفال:1] ، مع الإشارة هنا إلى تحقق وصف الإيمان فيهم وأن إفراغه في صورة الشرط في الآية السابقة ما قصد منه إلا شحذ العزائم، وبذلك انتظم هذا الأسلوب البديع في المحاورة من أول السورة إلى هنا انتظاما بديعا معجزا»[4].

تذكير المؤمنين بما التزموا به:

وذلك أن اقتران النداء بفعل الإيمان يذكرهم بما ارتضوه من الإيمان بالله تعالى، وبأن هذا الفعل العظيم يتعلق نقصه وزيادته بالامتثال بما سيأتي بعده من أمر أو نهي أو حكم أو جزاء، روي عن ابن مسعود رضي الله عنه: (إذا سمعت الله تعالى يقول: (يا أيها الذين آمنوا) فارعها سمعك، فإنه خير يأمر به، أو شر ينهى عنه)[5].

تحفيز المؤمنين لزيادة التمسك بالإيمان:

لذلك جاء النداء بقوله: (يا أيها الذين آمنوا) ولم

(1) ينظر: البحر المحيط لأبي حيان 279/3.
(2) ينظر: غرائب التفسير للكرماني 400/1.
(3) ينظر: التحرير والتنوير لابن عاشور 117/9.
(4) التحرير والتنوير 303/9.
(5) ينظر: الزهد لابن المبارك ص12، وفضائل القرآن لأبي عبيد ص74.

جامعة المدينة العالمية
Al-Madinah International University
ISSN: 2462-2508

يقل: (يا أيها المؤمنون)؛ لأن المؤمنين أعلى منزلة من الذين آمنوا، فالمؤمنون صار الإيمان اسمًا لهم وصفة ثابتة، أما الذين آمنوا فالإيمان لا زال لديهم فعلًا ولم يرقَ إلى مرحلة الثبوت، فكأنه يقول لهم: يا أيها الذين ارتضوا الإيمان بي، ورضوا بي ربًّا وإلهًا، اسمعوا مني.

النداء بصفة الإيمان من أساليب التشويق والتنبيه، فاستخدام أداة النداء (يا) -التي تصلح للقريب والبعيد- يجذب الانتباه ويشعر المؤمن بقربه من الله تعالى، ويهيء النفس لتلقي الأمر أو النهي[1].

سياق الأحكام والتربية:

تأتي هذه النداءات غالباً لإصدار أوامر تشريعية، أو توجيهات تربوية، أو تحذيرات من فتن، مما يجعلها تلخص المواثيق والعهود الإيمانية، قال الطبري في تفسير آية الدين: «يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله»[2].

إثارة الطمأنينة:

تخاطب هذه النداءات المؤمنين لتطمئن قلوبهم وتُسكّن نفوسهم، خاصة في مواقف التكليف أو الشدائد، قال الثعلبي: «قال جعفر الصادق: لذة ما في النداء أزال تعب العبادة والعناء»[3].

شمولية الخطاب:

النداء موجه للمؤمنين كافة، مما يعزز روح الجماعة والوحدة بين المسلمين، والمسؤولية الجماعية عن تطبيق شرع الله.

الاقتران بالعمل:

كثيراً ما يتبع النداء بـ «يا أيها الذين آمنوا» توجيه فعلي، مثل: «فاصبروا»، «اذكروا»، «اتقوا» (كما في)، مما يؤكد على أن الإيمان عمل وتطبيق وليس قولاً فقط، قال ابن عاشور: «وافتتاح الخطاب بالنداء للاهتمام بما سيلقى إلى المخاطبين قصدًا لإحضار الذهن لوعي ما سيقال لهم»[4].

المبحث الثاني: سورة الحجرات تعريف عام

المطلب الأول: اسم السورة وزمن نزولها وترتيبها في المصحف

أولًا: اسم السورة:

اسم السورة التوقيفي: سورة الحُجُرات، والحُجرات: جمع حُجرة، وهي من البيوت لمنعها المال، ويقال للحائط: حَجَار، وحجرة القوم: ناحية دارهم، والجمع حُجُرات، وحُجَرات، وهي لغات فيها[5].

سبب تسمية السورة بهذا الاسم:

سميت هذه السورة بسورة الحجرات في جميع المصاحف وكتب التفسير والسنة، وقد وردت هذه التسمية في بعض آثار الصحابة رضي الله عنهم، ومنها:

ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال:

(1) ينظر: من بلاغة القرآن لأحمد بدوي ص130.

(2) جامع البيان 43/6.

(3) الكشف والبيان 398/4.

(4) التحرير والتنوير 303/9.

(5) ينظر: غريب الحديث لأبي عبيد 148/4 مادة (حجر)، وجمهرة اللغة لابن دريد 436/1 مادة (ح ج ر)، وتهذيب اللغة للأزهري 83/4 باب الحاء والجيم.

ISSN: 2462-2508

(نزلت سورة الحجرات بالمدينة)[1]، وقد روي عن عبد الله ابن الزبير مثله[2].

ووجه التسمية: أنه قد ذكر فيها لفظ ﴿ٱلْحُجُرَٰتِ﴾ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ۝٤﴾ [آية:4]، ولم ترد هذه الكلمة في أي سورة غير هذه السورة.

قال البقاعي: «واسمها ﴿ٱلْحُجُرَٰتِ﴾ واضح الدلالة على ذلك، بما دلت عليه من آيته، من ذمّ المنادين والتلويح لهم إلى الإقبال على ما يحصّل المغفرة، بأنهم قد ارتكبوا ما كانوا به من المذنبين»[3].

وقد أشار القاسمي لفائدة لطيفة في وجه تسمية السورة فقال: «قال المهايمي: سميت بها لدلالة آياتها على سلب إنسانية من لا يعظّم رسول الله ﷺ غاية التعظيم، ولا يحترمه غاية الاحترام، وهو من أعظم مقاصد القرآن»[4]، فكأنه يقول: إن من يعاملون رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه الغلظة والجفاء قد تحجرت قلوبهم وعقولهم، فهي كالحجرات المغلقة على من فيها، أو هي كالحجارة التي تبنى منها الحجرات.

ثانيًا: زمن نزول السورة:

نزلت آية الحجرات في أعرابٍ من بني تميم، قدموا وفدًا لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وأخذوا ينادونه من وراء حجراته[5]، ومن هنا يتبيّن أن السورة مدنية، وهذا باتفاق أهل التأويل[6]، قال عطاء بن يسار: «الحجرات مدنية»[7]، ويدل على أنها مدنية قول من رأى أن المفصّل من القرآن يبدأ من سورة ق؛ لأن المفصل كله مكي، وسورة الحجرات مدنية[8]، وقد نزلت في عام الوفود في السنة التاسعة للهجرة[9] بعد فتح مكة، وهذا يعني أنها نزلت على مجتمع بغلب عليه الإيمان بدلالة النداءات الإيمانية المتكررة في هذه السورة[10].

فالسورة مدنية، وما ورد فيها من نداء للناس في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾ [آية:13] فإنها نزلت في مكة يوم الفتح، لكنها في حكم المدني؛ لأنها نزلت بعد الهجرة، والصحيح في النزول اعتبار الهجرة وليس اعتبار مكان النزول[11].

وقد نزلت سورة الحجرات بعد سورة المجادلة وقبل سورة التحريم[12].

(1) عزاه السيوطي في الدر المنثور 546/7 إلى البيهقي.

(2) ينظر: الدر المنثور للسيوطي 546/7.

(3) مصاعد النظر 6/3.

(4) محاسن التأويل 514/8.

(5) ينظر: تفسير مقاتل 91/4، وأسباب النزول للواحدي ص387.

(6) قال العز بن عبد السلام في تفسيره 211/3: «مدنية اتفاقًا»، وقال القرطبي في تفسيره 300/16: «سورة الحجرات مدنية بإجماع».

(7) ينظر: سور القرآن للفضل بن شاذان ص283، ومعاني القرآن للفراء 115/1.

(8) قال ابن رشد في البيان والتحصيل: «والصحيح قول من قال: إنه من سورة ق؛ لأن سورة الحجرات مدنية والمفصّل مكي».

(9) عام الوفود في السنة التاسعة للهجرة، وهو العام الذي دخل فيه الناس في دين الله أفواجا، ينظر: حدائق الأنوار لليمني ص365.

(10) ينظر: تفسير مجاهد ص610، ودرج الدرر للجرجاني 1558/4.

(11) ينظر: البرهان في علوم القرآن للزركشي 195/1.

(12) ينظر: مصاعد النظر للبقاعي 165/1.

ISSN: 2462-2508

ثالثًا: ترتيب السورة في المصحف:

سورة الحجرات هي السورة التاسعة والأربعون في المصحف العثماني، وهي بعد سورة الفتح وقبل سورة ق، أما ترتيبها في مصحف عبد الله بن مسعود فهي بعد سورة الطلاق[1]، وعدد آياتها ثمانية عشرة آية باتفاق بين علماء العدد[2].

المطلب الثاني: أهم موضوعاتها العامة

الموضوع العام للسورة:

بناء المجتمع الإسلامي والتربية الأخلاقية للأمة الإسلامية، وهذا من خلال الأدب مع الله تعالى، والأدب مع الرسول ﷺ[3]، قال البقاعي: «ومقصودها: توقير النبي ﷺ، وحفظ ذلك من إجلاله بالظاهر ليكون دليلًا على الباطن فيسمى إيمانًا»[4].

ومن موضوعات السورة:

التثبت من الأخبار، وطاعة القيادة، وفض الخلاف، والإصلاح بين المؤمنين، وجملة الآداب والأخلاق التي نصت عليها السورة، ومواصفات الإيمان الصادق بالله تعالى، وتفويض أمر الغيب لله، وهذه الموضوعات كلها لا تخرج عن المحور الرئيسي الذي تدور حوله السورة وهو: التربية الأخلاقية للأمة الإسلامية[5].

قال القرطبي: «كان في العرب جفاء وسوء أدب في خطاب النبي ﷺ وتلقيب الناس، فالسورةُ في الأمر بمكارم الأخلاق ورعاية الآداب»[6].

وقال الرازي: «هذه السورة فيها إرشاد المؤمنين إلى مكارم الأخلاق، وهي إمّا مع الله تعالى أو مع الرسول ﷺ أو مع غيرهم من أبناء الجنس»[7].

المبحث الثالث: تحليل النداءات الإيمانية في سورة الحجرات، والقيم المستخلصة منها

المطلب الأول: عرض النداءات وتحليلها

تعد نداءات سورة الحجرات الخمسة الموجهة لأهل الإيمان «ميثاقًا تربويًّا» فريدًا، رسم فيه الوحي معالم الشخصية الإسلامية في أبعادها الثلاثة: التعبدية، والاجتماعية، والأخلاقية. وقد تدرجت هذه النداءات في بناء صرح المجتمع الفاضل؛ فبدأت بتهذيب علاقة المؤمن بخالقه ورسوله ﷺ بتقرير الأدب وحسن الانقياد، ثم انتقلت إلى صيانة أمن المجتمع من الشائعات والفتن، وصولًا إلى تطهير العلاقات البينية من مساوئ الأخلاق الظاهرة كالخفية؛ لتقيم في النهاية مجتمعًا مترابطًا لا تحكمه القوانين المادية فحسب، بل تحرسه التقوى ويجمعه رباط الأخوة الإيمانية تحت ظلال الطاعة والاستسلام لله ولرسوله.

(1) ينظر: الفهرست لابن النديم ص43، والنكت والعيون للماوردي 310/6.

(2) ينظر: سور القرآن وآياته وحروفه ونزوله للفضل بن شاذان ص238، والبيان في عد آي القرآن للداني ص137.

(3) ينظر: نظم الدرر للبقاعي 349/18، وتناسق الدرر للسيوطي ص123.

(4) مصاعد النظر 6/3.

(5) ينظر: التحرير والتنوير لابن عاشور 214/26.

(6) الجامع لأحكام القرآن 300/16.

(7) مفاتيح الغيب 97/28.

ISSN: 2462-2508

النداء الأول في السورة:

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ١﴾

تعد سورة الحجرات «سورة الآداب» الكبرى في القرآن الكريم، وهي تفتتح بنداء المؤمنين تنبيهًا على عظم ما يرد بعد هذا النداء، ووصفتهم بـ (الذين آمنوا) لأن هذا الوصف يجري مجرى اللقب لهم، مع ما يوحي به من أهليتهم للامتثال والالتزام بهذا النهج الأخلاقي الرفيع. وقد ذكر الإمام الفخر الرازي -كما نقل عنه ابن عاشور- أن الله أرشد المؤمنين في هذه السورة إلى مكارم الأخلاق في خمسة أقسام: (بجانب الله، بجانب رسوله، بجانب الفساق، بجانب المؤمن الحاضر، وبجانب المؤمن الغائب)، ولذا تكرر نداء «يا أيها الذين آمنوا» خمس مرات، كان أولها هذا النداء الذي اندرج فيه واجب الأدب مع الله ورسوله صلى الله عليه وسلم[1].

التحليل اللغوي والبياني لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ﴾:

أولًا: دلالة الفعل ﴿تُقَدِّمُواْ﴾ وتوجيه القراءات:

الفعل «قدَّم» بتضعيف الدال يأتي متعديًا، وفي الآية الكريمة حُذف مفعوله، وفي هذا الحذف سر بلاغي، أوجزه العلماء في وجهين: **أحدهما: التعميم:** أن يُحذف المفعول ليتناول كل ما يقع في النفس مما يُقدّم، سواء كان قولًا أو فعلًا أو رأيًا، والثاني: **القصد إلى الفعل ذاته:** ألا يُقصد مفعول بعينه، بل يتوجه النهي إلى «نفس التقديم»، كقولهم «فلان يعطي ويمنع»، فيكون المعنى: لا تلبسوا بهذا الفعل ولا تجعلوه منكم بسبيل[2].

أما من حيث القراءات، فقد قرأ الجمهور (تُقدِّموا) بضم التاء وكسر الدال، بينما قرأ ابن عباس والضحاك ويعقوب بفتح التاء والدال (تَقَدّموا)[3] على معنى «لا تتقدموا»، وأصله «تتقدموا» فحذفت إحدى التاءين تخفيفًا. والفرق الدلالي أن قراءة الجمهور تفيد النهي عن «تقديم» أي شيء على أمر الله، وقراءة الفتح تفيد النهي عن «التقدم» الحسي أو المعنوي في الذات[4].

ثانيًا: بلاغة الاستعارة في ﴿لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ﴾:

استعمال «بين يدي» في حق الله ورسوله هو من قبيل مجاز التمثيل؛ إذ إن حقيقة قول العرب «جلست بين يدي فلان» تعني الجلوس في الجهة المقابلة له قريبًا منه. وفائدة هذا التمثيل هنا تصوير «الهجنة والشناعة» في الإقدام على أمر دون استناد إلى الكتاب والسنة، فكأن المفتات على الشرع قد تخطى المكانة والهيبة وجعل رأيه في مقام الصدارة أمام الوحي[5].

كلام العلماء في النهي الوارد بعد النداء:

لقد أورد أئمة التفسير كالطبري وابن عطية

(1) ينظر: التحرير والتنوير لابن عاشور 26/ 216.

(2) ينظر: الكشاف للزمخشري 4/349.

(3) ينظر: المبسوط في القراءات العشر لابن مهران ص412، والوجيز للأهوازي ص336.

(4) ينظر: ينظر: المحرر الوجيز لابن عطية لابن عطية 5/144.

(5) ينظر: الكشاف للزمخشري 4/349-350.

ISSN: 2462-2508

والقرطبي جملة من الأقوال في المراد بهذا النهي، وهي ترجع في مجملها إلى معنى «الانقياد التام»: فمنها: النهي عن القول بخلاف الوحي: ذهب ابن عباس في رواية علي بن أبي طلحة إلى أن المعنى: «لا تقولوا خلاف الكتاب والسنة»[1]، ومنها: النهي عن الافتيات والسبق: قال مجاهد: «لا تفتاتوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء، حتى يقضيه الله على لسانه»[2]، والنهي عن اقتراح التشريع: قال قتادة: «إن أُناسًا كانوا يقولون: لو أُنزِل فيَّ كذا، لو صُنِع كذا، فكره الله ذلك»[3]، والنهي عن تقديم العبادات على وقتها: ذكر ابن جريج أن الآية تنهى عن تقديم أعمال الطاعات قبل وقتها الذي أمر الله به ورسوله، كمن ذبح أضحيته قبل صلاة النبي صلى الله عليه وسلم يوم النحر[4]، فإن هذا النهي يمثل قاعدة الأصول الكبرى: «لا اجتهاد مع النص»، وقد تجلى ذلك في حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه حين بعثه النبي إلى اليمن، حيث أخر معاذ رتبة الاجتهاد (أجتهد رأيي) إلى ما بعد استنفاد البحث في الكتاب والسنة، فلو قدم رأيه قبل ذلك لكان داخلًا في باب التقديم بين يدي الله ورسوله[5].

التحليل الاجتماعي والنفسي لسياق الآيات:

كانت عادة العرب الجفاء والاشتراك في الآراء، فكان الرجل يتكلم بما يشاء ويفعل ما يحب بجرأة طبيعية، فنزلت هذه الآيات لـ «تمرن» نفوسهم على أدب الشريعة. ويشمل ذلك حتى المشي الحسي؛ فقد ذهب ابن زيد إلى أن المعنى: «لا تمشوا بين يدي رسول الله»، وكذلك لا يتقدم الطالب على شيخه لأن العلماء ورثة الأنبياء[6]، كما قرن الله تعالى النهي بالأمر بالتقوى ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ ؛ لأن اجتناب المنهي عنه هو جوهر التقوى، ثم ختم الآية بصفة السمع والعلم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝١﴾ ، وفي ذلك وعيد مبطن ولطيفة بيانية: «سميع لأقوالكم، عليم بنياتكم وأفعالكم»[7].

وتأسيسًا على ما تقدم من معطيات تحليلية مستمدة من أمهات التفاسير، نخلص إلى أنَّ النداء الأول في سورة الحجرات لم يكن مجرد تنظيم إجرائي لعلاقة جيل الصحابة بالنبي ﷺ، بل هو تأسيس لمنظومة قيمية كلية تتجاوز الزمان والمكان؛ إذ يتجلى من خلال التحليل اللغوي لقوله تعالى ﴿لَا تُقَدِّمُوا۟﴾ أن الشريعة الإسلامية وضعت حدًا فاصلًا بين الاجتهاد والافتيات، فالحذف البلاغي للمفعول به في الآية قرر قاعدة عامة تقضي بحظر تقديم أي قول أو فعل أو رأي قبل استقصاء حكم الوحي، مما يؤصل للمرجعية القانونية والأخلاقية الكبرى في الإسلام بأن لا اجتهاد مع النص، وأن التبعية المطلقة للكتاب والسنة هي الضمانة الوحيدة لاستقامة العمل وقبوله، ويظهر من خلال الربط بين الظاهر والباطن أن الآداب المتمثلة في الوقوف عند حدود الشرع ليست مجرد سلوكيات شكلية، بل هي انعكاس مباشر لعملية امتحان القلوب

(1) ينظر: جامع البيان للطبري 335/21.
(2) ينظر: جامع البيان للطبري 336/21.
(3) ينظر: جامع البيان للطبري 336/21.
(4) ينظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي 301/16.
(5) ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير 364/7.
(6) ينظر: المحرر الوجيز لابن عطية 144/5.
(7) ينظر: البحر المحيط لأبي حيان 507/9.

ISSN: 2462-2508

وتزكيتها، وبناءً عليه فإن التقوى في المنظور القرآني تتحول من مشاعر قلبية إلى كيان حي يتجسد في كسر الشهوات النفسية لصالح الانقياد التام لأمر الله ورسوله، وفي الختام تبرز النتيجة الأكاديمية الأهم لهذا التحليل في أن أدب الحجرات منهجٌ عابر للزمان، فالمعاني التي حظرها النص تظل سارية المفعول في الأمة تجاه ورثة الأنبياء من العلماء، وتجاه السنة النبوية المأثورة، لتبقى السيادة الثلاثية التي وضعها النداء متمثلة في سيادة الوحي، وسيادة الأدب، وسيادة المراقبة القلبية، هي الإطار الناظم للمجتمع الإسلامي وصمام الأمان له في كل عصر.

النداء الثاني في السورة

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ٢ ﴾

أعاد الله تعالى النداء للمؤمنين في هذه الآية ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ اهتمامًا بهذا الغرض السلوكي، وإشعارًا بأنه أدب باهر وجدير بالتنبيه عليه بخصوصه؛ لئلا ينغمر في الأمر السابق (عدم التقديم). وهذا النداء الثاني يعد «توطئة تربوية» لما سيعقبه من ذم الذين ينادون النبي ﷺ من وراء الحجرات، فكأن الله يمرن نفوسهم على توقير الجناب النبوي في هيئة الصوت قبل تفصيل وقائع الجفاء التي وقعت من وفد بني تميم[1].

التحليل اللغوي والبياني لآداب الصوت والخطاب:

أولًا: بلاغة الاستعارة والترشيح في (الرفع والفوقية) قوله تعالى: ﴿ لَا تَرۡفَعُوٓاْ ﴾:

هو من قبيل «الاستعارة المكنية أو التبعية»؛ حيث استعير الرفع (وهو علو الأجسام) لجهارة الصوت التي تتجاوز المعتاد، بجامع أن كلًا منهما يبلغ المدى، فالجسم العالي أوضح للبصر، والصوت العالي أبلغ للسمع. وقوله ﴿ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ ﴾ هو «ترشيح» لتلك الاستعارة؛ والمقصود بالفوقية هنا «الفوقية المجازية» التي تعني مجاوزة حد صوته ﷺ إجلالًا له، وليس المراد مساواته بالصوت إذا رفع صوته، بل الغرض خفض الصوت مطلقًا في حضرته[2].

ثانيًا: الفرق بين (رفع الصوت) و(الجهر بالقول) نهت الآية عن أمرين متمايزين: النهي عن رفع الصوت:

وهو الارتفاع المطلق في نغمة الكلام عند حضوره ﷺ، سواء كان الكلام معه أو مع غيره (كما في قصة الشيخين)، **والنهي عن الجهر له بالقول**: وهو خاص بكيفية «مناداته»، كأن يقولوا: «يا محمد»، فنهوا عن مبادلته في الخطاب كجفاء خطابهم لبعضهم البعض، وأُمروا بدعائه باسم النبوة والرسالة (يا رسول الله) بلين وتوقير[3].

التحليل العقدي والنحوي للتحذير: ﴿ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ ﴾:

قوله ﴿ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ ﴾ مفعول لأجله، وفي تقديره مذهبان: (مخافة أن تحبط) عند البصريين، أو (لئلا تحبط) عند الكوفيين. والحبط هو فساد العمل، وله في الآية مسلكان: **حبط الكفر**: وهو في حق

(1) ينظر: التحرير والتنوير لابن عاشور 220/26.

(2) ينظر: التحرير والتنوير لابن عاشور 220/26.

(3) ينظر: المحرر الوجيز لابن عطية 5/ 146، وجامع البيان للطبري 21/ 339.

ISSN: 2462-2508

من يرفع صوته «استخفافًا وجرأة» على منصب النبوة، فهذا كفر محبط لكل الأعمال، **وحبط الثواب أو التدرج**: في حق المؤمن الفاضل الذي يرفع صوته «غفلة»، فيحبط ثواب (توقير النبي)، أو أن سوء الأدب يورث «الوحشة» في النفس، فيتدرج العبد من سيء إلى أسوأ وهو لا يشعر ﴿وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ۝٢﴾، حتى يؤول به الحال إلى سلب الإيمان بالكلية[1].

الامتداد التربوي والشرعي:

اتفق العلماء على أن هذه الحرمة مستمرة للأمة في مواضع منها: **عند القبر الشريف**: يكره رفع الصوت عند قبره ﷺ كما كان يكره في حياته، **وعند قراءة السنة**: كلامه ﷺ المأثور له من الوقار ما لكلامه المسموع، فيجب الإنصات له وترك اللغط عند قراءة الحديث، **وحضرة العلماء**: كره العلماء رفع الصوت فوق صوت العالم أو الجهر له بالقول تشريفًا لمقام «وراثة الأنبياء»[2].

إنّ هذا التدرج البياني في سورة الحجرات، من النهي عن «السبق بالرأي» إلى النهي عن «علو الصوت الحسي»، لا يقف عند حدود التنظيم السلوكي الفردي، بل هو تأسيس لمركزية الوحي في وجدان الأمة. فالآيات تنقل المؤمن من ضيق «الأنا» وجفاء «الطبع» إلى سعة «الانقياد» وهيبة «المقام»؛ ليكون التوقير نابعًا من قلبٍ ذاق حرارة الاختبار (الامتحان)، فخلصت منه شوائب الرعونة والشهوات، وصفا للتقوى.

وتتجلى براعة القرآن في الربط بين «خفاء الصوت» و«جلاء التقوى»؛ فغضُّ الصوت في حضرة النبي ﷺ ليس مجرد خفضٍ للجرس، بل هو إعلان صامت عن غلبة هيبة الحق على نوازع النفس. ومن هنا كان التحذير من (حبوط العمل) مع (عدم الشعور) أشد ما يرتعد له وجدان المؤمن؛ إذ ينبهنا النص إلى أن المساس بمقام النبوة —ولو بكلمة تخرج على مقتضى الطباع— قد يفتح ثغرة تتسلل منها «الوحشة» إلى القلب، فتتآكل الأعمال الصالحة تآكلًا خفيًّا كالنار في الهشيم، حتى يفقد العبد رصيده الإيماني وهو يظن أنه من المحسنين صنعًا.

إنها دعوة باقية للأمة في كل زمان، أن تلزم غرز الأدب مع «ميراث النبوة»؛ فتعلم أن تعظيم النص النبوي، وخفض الرأي عند حضوره، وتوقير حملة علمه، هو الامتداد الحقيقي لتلك التزكية التي نالها الرعيل الأول، وهي الضمانة الوحيدة لبقاء العمل مقبولًا، والقلب مُمتحنًا للتقوى، والمسار مستقيمًا نحو المغفرة والأجر العظيم.

النداء الثالث في السورة

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ۝٦﴾

استفتح الله عز وجل هذا المقطع بنداءٍ ثالث للمؤمنين ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾؛ وهو نداء استئنافي ابتدائي استقل به غرض جديد، وهو «آداب جماعات المؤمنين بعضهم مع بعض». وقد أُعيد

(1) ينظر: المحرر الوجيز لابن عطية 5/ 146، والتحرير والتنوير لابن عاشور 26/ 222.

(2) ينظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي 16/ 307-308.

ISSN: 2462-2508

النداء وفُصل عما قبله للاهتمام بهذا الغرض السلوكي، وللتنبيه على أن هذا الأدب جدير بالتنبيه بخصوصه لئلا ينغمر فيما سبقه. والآية وإن نزلت في واقعة معينة، إلا أنها «باقية فيمن اتصف بهذه الصفة غابر الدهر»[1].

أولًا: التحليل اللغوي والبياني لمفردات الآية:

مفهوم الفسق:

هو في اللغة «الخروج عن نهج الحق»، وهو مراتب متباينة، وكلها مظنة للكذب وموضع للتثبت والتبين. وقد فُسر هنا بـ«الكاذب» (قول ابن زيد ومقاتل)، أو «المعلن بالذنب» (أبو الحسن الوراق)، أو «الذي لا يستحي من الله» (ابن طاهر).

بلاغة أداة الشرط (إِنْ):

أُوثِر حرف ﴿إِن﴾ الذي يفيد الشك والندرة؛ للتنبيه على أن شأن «الفعل» (وهو مجيء الفاسق بالخبر) ينبغي أن يكون نادرًا وقوعه في مجتمع المؤمنين، ولا يُقدم عليه المسلم إلا شذوذًا.

التنكير للشيوع:

تنكير ﴿فَاسِقٌ﴾ و﴿بِنَبَإٍ﴾ في سياق الشرط يفيد العموم؛ أي أيُّ فاسق جاء بأيِّ نبأ، فتوقفوا فيه وتطلبوا بيان الأمر وانكشافه[2].

ثانيًا: تحليل القراءات و آثارها الدلالية:

اختلفت القراءات في قوله تعالى ﴿فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ على وجهين: قراءة الجمهور ﴿فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾: من التبين، وهو طلب الإبانة والظهور؛ أي تأملوا وأبينوا الحق من غير جهة ذلك الفاسق. ووصفت بأنها «أبلغ»؛ لأن المرء قد يتثبت دون أن يتبين له الحق، وقراءة حمزة والكسائي {فَتَثَبَّتُوا}: من التثبت والتحري، وهي في مصحف ابن مسعود بالثاء، ومعناها: أمهلوا حتى تعرفوا صحته ولا تعجلوا بقبوله. والصواب: أن القراءتين متقاربتا المعنى، والتثبت (الأناة) وسيلة تؤدي إلى التبين (الظهور)[3].

ثالثًا: سبب النزول:

أجمع المفسرون على أن الآية نزلت في الوليد بن عقبة بن أبي معيط حين بعثه النبي ﷺ مصدقًا (جاميًا للزكاة) إلى بني المصطلق، ووردت في ذلك عدة روايات: **منها رواية ابن عباس ومجاهد**: أن الوليد لما شارف القوم خرجوا يتلقونه فرحًا، فظنهم خرجوا لقتله (لإحنة وشحناء كانت بينهم في الجاهلية)، فرجع وقال: «منعوا الزكاة وهموا بقتلي»، **ورواية أم سلمة**: أن القوم لما استبطأوا المصدق خرجوا بتلقيه يعظمون أمر رسول الله ﷺ، فحدثه الشيطان أنهم يريدون قتله، فرجع فغضب النبي ﷺ وهمّ بغزوهم، حتى جاء الوفد منكرين تائبين قائلين: «نعوذ بالله من سخط الله وسخط رسوله»[4].

(1) والتحرير والتنوير لابن عاشور 26/ 228-229، والمحرر الوجيز لابن عطية 5/ 147.

(2) ينظر: المحرر الوجيز لابن عطية 5/ 147، والتحرير والتنوير لابن عاشور 26/ 229-231، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي 16/ 312.

(3) ينظر: جامع البيان للطبري 21/ 349، والمحرر الوجيز لابن عطية 5/ 147، والتحرير والتنوير لابن عاشور 26/ 231.

(4) ينظر: جامع البيان للطبري 21/ 350-353، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي 16/ 311، والتحرير والتنوير لابن عاشور 26/ 228.

ISSN: 2462-2508

رابعًا: المسائل الفقهية والأصولية المستنبطة

تعد هذه الآية أصلًا عظيمًا في الشهادة والرواية، وتتخرج منها أربع مسائل: الأولى: **حجية خبر الواحد العدل**: استدل القائلون بقبول خبر الواحد بدليل خطاب الآية؛ فإذا أُمرنا بالتبين عند خبر الفاسق، فإن ذلك يقتضي أن غير الفاسق (العدل) يُقبل خبره ويُعمل بمقتضاه دون تبين، والثانية: **فساد قول (المسلمون كلهم عدول)**: الآية ترد على من قال إن الأصل في المسلمين العدالة حتى تثبت الجرحة (قول منذر بن سعيد)؛ لأن الله أمر بالتبين، فالمجهول الحال يخشى أن يكون فاسقًا والاحتياط فيه لازم، والثالثة: **الاستثناءات الضرورية**: يصح أن يكون الفاسق (بل والكافر) رسولًا في التبليغ العادي (إذن، هدية، قول يبلغه) للضرورة الداعية لذلك، ما لم يتعلق به حق لغير المرسل والمبلغ، والرابعة: **أحكام الولاية**: اختلف الفقهاء في ولاية الفاسق للنكاح؛ فمنعه الشافعي لعدم ائتمانه على «قنطار دين»، وأجازه مالك وأبو حنيفة لأنه يلي مالها فالبضع أولى، ولأن غيرته موفورة يحمي بها الحريم[1].

خامسًا: التحليل الوعظي والتربوي (العاقبة والندم):

بجهالة: أي بخطأ، وهي حال للمؤمنين (متلبسين بعدم العلم بالواقع). والجهالة هنا ضد العلم أو ضد الحلم، **والندم** ﴿فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ۝٦﴾: الندم هو الأسف على فعل صدر، والمراد به هنا «الندم الديني» المانع من الاستمرار في الذنب. وتسمية الندم هنا «إصباحًا» بمعنى الصيرورة، **وتوبيخ الكذبة** ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾: توبيخ لمن يكذب وعيدًا له بالفضيحة، أي فليفكر الكاذب أن الله يفضحه على لسان رسوله بالوحي، **ومآل العنت** ﴿لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ﴾: العنت هو المشقة والهلاك؛ أي لو يطيعكم في كثير مما ترونه باجتهادكم وتقدمكم بين يديه لشقيتم وهلكتم[2].

سادسًا: تزكية القلوب ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ﴾:

بين الله تعالى أن النجاة من هذه الفتن منوطة بفضله ونعمته، **التحبيب والتزيين**: أنعم الله على المؤمنين بأن خلق في قلوبهم حب الإيمان، وكره إليهم الكفر والفسوق والعصيان، وبذلك لم يتقدموا بين يدي رسول الله، **الراشدون**: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ۝٧﴾ هم الذين استقاموا على الحق وقبلوا إنعام الله وشكروه، فانتقل السياق من الخطاب إلى الغيبة تعظيمًا لذكرهم[3].

وبهذا يتبيَّن من خلال هذا التحليل المستفيض لآيات النداء الثالث في سورة الحجرات جملةٌ من المقاصد الشرعية واللطائف التفسيرية التي تشكل في مجموعها نظامًا متكاملًا لحماية المجتمع المسلم؛

(1) ينظر: المحرر الوجيز لابن عطية 5/ 147، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي 16/ 312-313، والتحرير والتنوير لابن عاشور 26/ 233، وينظر في المسائل الأصولية: الانتصار لأصحاب الحديث للسمعاني ص34.

(2) ينظر: المحرر الوجيز لابن عطية 5/ 147، وجامع البيان للطبري 21/ 354، والتحرير والتنوير لابن عاشور 26/ 232-234.

(3) ينظر: المحرر الوجيز لابن عطية 5/ 148، والتحرير والتنوير لابن عاشور 26/ 234.

ISSN: 2462-2508

إذ بدأ السياق بتقرير أصلٍ عظيم في «فقه الخبر»، حيث جعل الله عز وجل من صفة (الإيمان) وازعًا يقتضي الحذر من (الفسوق) المورث للكذب، فاستحق تنكير «الفاسق» و«النبأ» إفادة العموم في كل مخبرٍ ضاعت عدالته، وفي كل خبرٍ جُهل أصله، وهو ما قرره المحققون من اعتبار هذه الآية أصلًا في رد مجهول الحال ووجوب اختبار العدالة قبل ترتيب الأحكام، صيانةً للدماء والأعراض من غوائل (الجهالة).

وقد كشف التحليل عن الملازمة الدقيقة بين «التبين» كمنهجٍ علمي لكشف الحقائق، و«التثبت» كمنهجٍ أخلاقي لضبط النفس عند ورود المثيرات، لتكون النتيجة الحتمية للتفريط فيهما هي «الإصباح على الندم»، وهو ندمٌ شرعيٌّ عميق يتجاوز مجرد الأسف الدنيوي إلى استشعار الذنب في التعدي على البرآء. ثم يرتفع سياق التفسير ليؤكد على مركزية (الوحي) و(الجناب النبوي) في حسم مادة النزاع، محذرًا المؤمنين من استنزال رأي النبي ﷺ ليوافق أهواءهم واجتهاداتهم القاصرة، لأن في ذلك مظنة (العنت) والمشقة التي لا طاقة للأمة بها، وفي هذا توبيخٌ مبطن لكل من قدم رأيه على النص أو استعجل الفتنة قبل تبيان وجه الحق فيها.

وتختم هذا الكلام بالوقوف على «المنحة التزكوية» التي امتن الله بها على عباده الراشدين، حين نقلهم من ضيق العجلة والفسوق إلى سعة الإيمان والعمل بمقتضى الحكمة، فجعل (الرشاد) صفةً ثابتة لمن استقام على منهج التثبت وشكر نعمة الله وفضله. وبذلك تلتحم المعاني اللغوية بوقائع التنزيل في قصة الوليد بن عقبة وبني المصطلق، لتبرهن أن هذا الأدب القرآني ليس واقعةً تاريخيةً انقضت، بل هو تشريعٌ غابر في الدهر، يقيم موازين العدل ويحرس بيضة الإسلام بفضلٍ من الله ونعمة، والله عليمٌ بمصالح خلقه، حكيمٌ في وضع أحكامه وتشريعاته.

النداء الرابع في السورة

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ١١﴾

استفتح الله عز وجل هذا المقطع بنداءٍ رابع للمؤمنين ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾؛ وهو نداء استئنافي ابتدائي استقل به غرض جديد، وهو «واجب المجاملة وحسن المعاملة بين آحاد المسلمين». وقد أُعيد النداء للاهتمام بهذا الغرض السلوكي، وللتنبيه على أن هذا الأدب مستقل بنفسه، جدير بالتنبيه بخصوصه لئلا ينغمر فيما سبقه من أحكام الدماء والأموال. والآية تهدف إلى اجتثاث أوصاف ذميمة كانت متأصلة في الجاهلية، كالسخرية واللمز والتنابز، لتقرر بدلًا منها حقوق الأخوة الإيمانية[1].

أولًا: التحليل اللغوي والبياني لمفردات الآية:

1. مفهوم القوم واختصاصه بالرجال:

دلالة اللفظ: القوم في لسان العرب اسم جمع يختص بالرجال دون النساء؛ لأنهم «القوّام» بأمور

(1) ينظر: التحرير والتنوير لابن عاشور 26/ 246، والبحر المحيط لأبي حيان 9/ 517.

ISSN: 2462-2508

النساء. قال الزمخشري: «وهو في الأصل جمع قائم، كصوّم وزوّر»، واستشهد العلماء بقول زهير بن أبي سلمى: أقوم آل حصن أم نساء، وجه التنكير: جاء قوله ﴿قَوْمٌ﴾ و﴿نِسَآءٌ﴾ منكرًا لإفادة «الشياع»، أي لئلا يتوهم أن النهي خاص بجماعة معينة، بل هو نهي عام لكل فرد من آحاد الرجال والنساء، بلاغة التفريق: خُصت النساء بالذكر بعد القوم دفعًا لتوهم دخولهن في عموم اللفظ الأول فقط، ولأن «الاستسخار متأصل في النساء»، فكان التأكيد عليهن أوجب لقطع هذه العادة.

2. السخرية واللمز والنبز (فروق دقيقة): السخرية:

هي الاستهزاء الذي يترتب غالبًا عند رؤية نقيصة أو عاهة أو فقر، وقد عدّاها الله بحرف «من» ﴿مِّن قَوْمٍ﴾ للدلالة على تمكن الساخر من المسخور منه استعلاءً، **اللمز**: هو «الطعن والضرب باللسان» مواجهة، وقد يكون بالإشارة أو بتحريك الشفتين بكلام خفي يفهمه الآخر. وقرأ الجمهور بكسر الميم ﴿وَلَا تَلْمِزُوٓاْ﴾، وقرأ الحسن والأعرج بضمها، وهي لغة عربية صحيحة، **النبز**: هو التداعي بالألقاب القبيحة (تفاعل من النبز)، وكان غالب ألقاب الجاهلية «نبزًا» يُقصد به الذم والشيْن[1].

ثانيًا: مادة التفسير المأثور وأسباب النزول:

ذكر العلماء عدة روايات تكشف عن السياق الذي هذبته الآية: **في السخرية واللمز**: روي أن نساء النبي ﷺ (عائشة وحفصة) سخرن من أم سلمة لـ «قِصرها»، أو من صفية بنت حيي لكونها «يهودية»، فقال لها النبي ﷺ: «هلا قلتِ إن أبي هارون وإن عمي موسى وإن زوجي محمد»، **في التنابز**: روي أنها نزلت في «بني سلمة»؛ إذ لم يكن منهم رجل إلا وله لَقبان أو ثلاثة، فكان النبي ﷺ يدعو أحدهم بلقبه فيقال: يا رسول الله إنه يغضب منه، **واقعة ثابت بن قيس**: حين تخطى الرقاب في المسجد ليسمع النبي ﷺ (وكان في سمعه وقر)، فزجره رجل، فقال له ثابت: «ابن فلانة» (يعيره بأم كان يُعيّر بها في الجاهلية)، فخجل الرجل ونزلت الآية زجرًا لثابت وتأديبًا للمؤمنين[2].

ثالثًا: المسائل الفقهية والأصولية المستنبطة:

حرمة التلقيب والضابط فيه: اللقب المنهي عنه هو ما يكرهه المدعو لما فيه من ذم، أما الألقاب الحسنة التي تزين صاحبها (كالصديق والفاروق) فليست مرادة بالنهي، وقد جرت في الأمم من غير نكير، **والاستثناء للضرورة والتعريف**: استثنى العلماء من النهي ما تدعو إليه الضرورة في «التعريف» لا الاستخفاف، كقول المحدثين: (الأعمش، الأعرج)، وكقول ابن مسعود لعلقمة: «وتقول أنت ذلك يا أعور»، **وولاية الفاسق وذمه**: قوله تعالى ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ١١﴾ أصل في أن الاستمرار على هذه الصغائر (سخرية ولمز) يرفع العبد إلى مرتبة «الظلم» و«الفسق»، مما يسقط عدالته إذا أصر عليها[3].

(1) ينظر: الكشاف للزمخشري 4/ 368، والتحرير والتنوير لابن عاشور 26/ 247-248، والبحر المحيط لأبي حيان 9/ 517.

(2) ينظر: جامع البيان للطبري 21/ 365، والمحرر الوجيز لابن عطية 5/ 150، والكشاف للزمخشري 4/ 370.

(3) ينظر: البحر المحيط لأبي حيان 9/ 518، والتحرير

ISSN: 2462-2508

رابعًا: التحليل الوعظي والتربوي (وحدة النفس الإيمانية): دلالة ﴿أَنفُسَكُمْ﴾:

قال ابن عطية والطبري: «المعنى: لا يعب بعضكم بعضًا؛ لأن المؤمنين كنفس واحدة»، فمتى عاب المؤمن أخاه فكأنما عاب نفسه حقيقة؛ لأن ألم أخيه ألمه، وشينه شينه. **ميزان التفاضل**: قوله ﴿عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ﴾ استئناف لمورد جواب المستخبر عن العلة؛ فالميزان عند الله هو «خلوص الضمائر وتقوى القلوب»، لا رثاثة الحال أو عاهة البدن، فكم من «أخيفش أعيمش» (باصطلاح الحسن البصري) هو عند الله سيد. **الزجر بالاسم**: قوله ﴿بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ﴾؛ «الاسم» هنا بمعنى الصيت والذكر. أي بئس الذكر المرتفع لكم أن تُعرفوا بالفُساق بعد أن عُرفتم بالمؤمنين. وفيها استقباح للجمع بين «الإيمان» و«الفسق» الذي يأباه ويحضره[1].

خامسًا: التحذير من العاقبة ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ١١﴾:

ختم الله الآية بأشد الزجر: حصر الظلم: استخدام صيغة القصر ﴿هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ١١﴾ مبالغة في ازدجارهم، وكأن من لا يتوب من هذه الأفعال قد استوعب صفة الظلم كلها؛ لأنه ظلم أخاه بالاعتداء، وظلم نفسه برضاها بالعقاب، **وجوب التوبة**: الآية صريحة في أن السخرية واللمز معاصٍ توجب التوبة الفورية، ومن أعرض عنها فقد لزمه وصف «الظلم» المحض[2].

بناءً على المعطيات التحليلية المتقدمة لهذا النداء الرباني، نخلص إلى أن هذه الآية الكريمة أرست دعائم «الأمن الاجتماعي» من خلال حماية كرامة الفرد وصيانة العرض من الأذى اللساني، حيث تجلى في ثنايا البحث كيف انتقل التشريع من تقرير الحقوق العامة إلى تهذيب المسالك الخاصة وتطهيرها من رواسب الجاهلية. وقد أظهر التحليل اللغوي والأصولي دقة الخطاب في التفريق بين الجنسين تارة، وجمعهم في وحدة «النفس الإيمانية» تارة أخرى، لترسيخ مفهوم أن الاعتداء على الآخر بالسخرية أو اللمز هو في حقيقته اعتداء على الذات واختراق للمنظومة القيمية التي يقوم عليها صرح الإيمان. كما كشف التفسير التحليلي عن عمق الرابط بين السلوك الفردي والحالة الإيمانية العامة، إذ جعل القرآن الكريم الاستمرار على هذه الآفات «فسقًا» وظلمًا مخرجًا للعبد من سمو الوصف الإيماني إلى حضيض الوصف الجرمي، وهو ما يعكس صرامة الشريعة في صيانة وشائج المحبة بين المؤمنين. وتأسيسًا على هذا، يظهر أن غاية هذا التأديب الإلهي هي بناء مجتمع مترابط تتعادل فيه كفتا «المعاملة والمجاملة»، ويغدو فيه ميزان التفاضل منوطًا بخفايا القلوب لا بظواهر الأبدان، لينتهي التحليل إلى أن التوبة من هذه المظالم ليست مجرد خيار تربوي، بل هي ضرورة شرعية لاستعادة العدالة الفردية والاجتماعية التي حصرها الحق سبحانه فيمن اتبع أوامره واجتنب نواهيه.

(1) ينظر: الكشاف للزمخشري 4/ 368-370، والمحرر الوجيز لابن عطية 5/ 150.

والتنوير لابن عاشور 26/ 249.

(2) ينظر: التحرير والتنوير لابن عاشور 26/ 250، وجامع البيان للطبري 21/ 366.

جامعة المدينة العالمية Al-Madinah International University
ISSN: 2462-2508

النداء الخامس في السورة

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾

استفتح الله عز وجل هذا المقطع بنداءٍ خامس للمؤمنين ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾؛ خُص بذكر المؤمنين لأن المنهيات المذكورة (الظن، التجسس، الغيبة) من «المعاملات السيئة الخفية» التي لا يزيلها من النفس إلا وازع الإيمان. والآية تهدف إلى إبطال ما فشا في الجاهلية من ظنون سيئة وتهم باطلة، نشأت عنها مكائد واغتيالات وطعن في الأنساب، عملًا بقاعدتهم: «خذ اللص قبل أن يأخذك»[1].

أولًا: التحليل اللغوي والبياني لمفردات الآية

1. مفهوم الاجتناب وحكمة تنكير «كثيرًا»:

الاجتناب: افتعال من جَنّبه، وحقيقته أن تجعل الشيء في «جانب» وأنت في جانب آخر. ومعنى الأمر باجتناب الظن (وهو خاطر اضطراري): هو الأمر بتعاطي «وسائل» اجتنابه من التثبت والتمحيص، **وجه التنكير**: جاء ﴿كَثِيرًا﴾ منكرًا ليفيد «البعضية»، وليدل على أن في الظنون ما يجب اجتنابه دون تعيين، لئلا يجترئ أحد على ظنّ إلا بعد نظر وتأمل، بخلاف ما لو جاء معرفًا لكان الأمر منوطًا بكل ما كثر دون ما قل. **الظن المحرم**: هو الذي لا تعرف له أمارة صحيحة، ويكون بحق من شوهد منه الستر والصلاح. أما من جاهر بالخبائث فلا إثم في ظن الفساد به.

2. التجسس والتحسس: التجسس:

(بالجيم) تطلب الأمر والبحث عنه، وهو تفعل من «الجس». وقرئ (بالحاء: التحسس) والمعنيان متقاربان، وقيل: الجيم للبحث عن العورات والمعايب، والحاء للبحث عما سُتر.

3. الغيبة والاسم والهمز:

الغيبة: اسم من الاغتياب (كالميل من الامتيال)، وهي ذكر السوء في الغيبة. **الإثم**: الذنب المستحق للعقاب. وعند الزمخشري همزته بدل عن الواو (من وثم) لأنه «يثم» الأعمال أي يكسرها بإحباطه، وتعقبه أبو حيان بأن الهمزة أصلية وتصريف الكلمة (أثم يأثم) يشهد له[2].

ثانيا: مادة التفسير المأثور وأسباب النزول:

واقعة سلمان وأسامة: روي أنها نزلت في رجلين اغتابا سلمان الفارسي حين نام عن صنع طعامهما وبعثاه إلى أسامة بن زيد (خازن النبي ﷺ) يطلب إدامًا فلم يجد عنده، فقالا: «لو بعثناه إلى بئر سميحة لغار ماؤها». فقال لهما النبي ﷺ: «مالي أرى خضرة اللحم في أفواهكما؟». موقف ابن مسعود: حين قيل له: هذا الوليد بن عقبة تقطر لحيته خمرًا، فقال: «إنا قد نهينا عن التجسس، فإن ظهر لنا شيء أخذنا به». حديث الفضيحة: خطب النبي ﷺ فنادى: «يا معشر من آمن بلسانه ولم يخلص الإيمان إلى قلبه، لا تتبعوا

(1) ينظر: التحرير والتنوير لابن عاشور 26/ 250-251.

(2) ينظر: الكشاف للزمخشري 4/ 371-372، والبحر المحيط لأبي حيان 9/ 519، والتحرير والتنوير لابن عاشور 26/ 252-254.

ISSN: 2462-2508

عـورات المسـلمين...»[1].

ثالثا: المسائل الفقهية والأصولية المستنبطة

العمل بالظن:

الآيـة بمفهـوم المخالفـة فتحـت بـاب العمـل بالظـن «غـير الإثـم»؛ كالظـن المسـتند لأدلـة شرعيـة أو مصلحـة حربيـة، فأكـثر تفريعـات الشريعـة ظنيـة.

حكم الغيبة:

هي حـرام بإجمـاع، واختلفـوا في كونهـا مـن الكبائـر؛ فذهـب المالكيـة وبعـض الشـافعية إلى أنهـا «كبـيرة» لشـناعة التمثيـل بهـا، وحدهـا إمـام الحرمـين بأنهـا مـا يـؤذن برقـة الديانـة. **الاسـتثناء للـضرورة**: لا غيبـة في «مجاهـر بفسـق»، ولا في «تجريـد الشـهود»، ولا في «نصـح المستشـير»، بـشرط عـدم تجـاوز حـد الحاجـة.

توبة المغتاب:

حـكى الزهـراوي عـن جابـر أنهـا لا يتـاب منهـا حـتى يُسـتحل صاحبهـا، والجمهـور على أن النـدم والاسـتغفار يكفيـان[2].

رابعا: التحليل الوعظي والبياني (تمثيل الغيبة):

أبـدع الزمخـشري في تحليـل قـوله ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾ مـبرزًا مبالغـات شـتى:

الاستفهام التقريري:

لانـتزاع اعـتراف المخاطـب بكراهـة الفعـل. **المحبـة والكراهـة**: جعـل مـا هـو في غايـة الكراهـة (أكل اللحـم) موصـولًا بـ (يحـب) لبيـان تفظيـع حـال مـن يرتضيـه لنفسـه. **تمثيـل الغائـب بالميـت**: لأن الميـت لا يحـس بالنهـش، والغائـب لا يسـمع القـدح، ولأن اللحـم سـتر للعظـم فالمغتـاب يكشـف السـتر. **ذكـر الأخـوة**: لزيـادة التشـنيع؛ فنهـش لحـم الآدمي قبيـح، فكيـف بـالأخ؟ **الطبـاق**: بـين ﴿أَيُحِبُّ﴾ و﴿فَكَرِهْتُمُوهُ﴾[3].

خامسا: الترتيب البديع وخاتمة الآية

حسن الترتيب:

لاحـظ العلمـاء (أبـو حيـان وابـن عاشـور) ترتيبًـا منطقيًـا للمنهيـات؛ بـدأ بالظـن (وهـو الطريـق غـير العلـمي)، ثـم التجسـس (وهـو تطلـب تحقيـق الظـن)، ثـم الغيبـة (وهي ذكـر مـا عُلـم بالتجسـس). الفـاء الفصيحـة: في قـوله ﴿فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ ؛ أي: إن عُـرض عليكـم هـذا التمثيـل فقـد كرهتمـوه يقينًـا، فليتحقـق أيضًـا كراهتكـم لنظيره (الغيبـة). خاتمـة التوبـة: ختـم بصفـات ﴿تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ ؛ لبيـان سـعة كرمـه؛ فالتـواب هـو الذي يـنزل التائـب منزلـة مـن لـم يذنـب قـط، والرحيـم هـو الذي يفيـض عليهـم مـن ثـواب المتقـين[4].

تأسيسًـا على مـا سـلف مـن وجـوه النظـر في التفسـير التحليـلي، نخلـص إلى أن هـذه الآيـة الكريمـة تمثـل دسـتورًا أخلاقيًـا متكامـلًا قـام على اسـتراتيجية

(1) ينظـر: الكشـاف للزمخـشري 4/ 372-374، والبحـر المحيـط لأبي حيـان 9/ 519-520.

(2) ينظـر: البحـر المحيـط لأبي حيـان 9/ 520، والتحريـر والتنويـر لابـن عاشـور 26/ 253-256.

(3) ينظـر: الكشـاف للزمخـشري 4/ 373، والبحـر المحيـط لأبي حيـان 9/ 520.

(4) ينظـر: البحـر المحيـط لأبي حيـان 9/ 521، والكشـاف للزمخـشري 4/ 374.

ISSN: 2462-2508

«الوقاية السلوكية» من خلال ترتيب منهجي بديع؛ فقد بدأ التشريع بتجفيف منابع الشر في النفس بالنهي عن الظن السيئ، ثم سدَّ منافذ البحث عنه بالنهي عن التجسس، وصولًا إلى تحريم ثمرة ذلك كله وهي الغيبة، ليُحكم بذلك سياج الصيانة على أعراض المؤمنين وخصوصياتهم. وقد تجلّت عبقرية البيان القرآني في نقل هذه المنهيات من حيز التجريد العقلي إلى حيز الشعور الحسي عبر تمثيل الغيبة بأكل لحم الأخ ميتًا، وهو تمثيل اجتمعت فيه مبالغات شتى لاستثارة الاستقذار الفطري والجبلّي، مما يجعل الارتداع عن المعصية نابعًا من تقزز الطبع قبل نهي الشرع. كما كشف التحليل الأصولي عن مرونة هذا التشريع ومراعاته للمصالح المرسلة؛ إذ لم يجعل التحريم مصمتًا، بل أباح من ذكر العيوب ما تندفع به المظالم أو تتحقق به المصالح الكبرى كالاستنصاح وجرح الرواة، مما يوازن بين حرمة الفرد وحاجة المجتمع. ويأتي تذييل الآية بصفتي التوبة والرحمة ليعلن أن المقصد الأسمى من هذا التأديب ليس مجرد الزجر والعقاب، بل هو استصلاح النفس البشرية وفتح باب الأوبة أمامها، ليظل المجتمع المسلم متماسكًا برباط التقوى، طاهرًا في ظاهره وباطنه، مستندًا إلى ميزان الحق لا إلى أوهام الظنون.

المطلب الثاني: القيم المستخلصة من النداءات

أولًا: القيم المستخلصة من النداء الأول في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ١﴾:

1. تغرس هذه الآية قيمة التسليم لمنهج الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم، فاتباع منهج الله تعالى الذي ارتضاه لعباده وشرعه لهم، والذي يتحقق بالتطبيق العملي لشرع الله تعالى، فلا حكم إلا بما قضى الله تعالى، قال الضحاك: «لا تقدموا بين يدي الله ورسوله» أي: لا تقضوا أمرًا دون الله ورسوله من شرائع دينكم»، وقال ابن عباس: «لا تقولوا خلاف الكتاب والسنة»[1].

2. الأدب مع الله ورسوله، واحترام المرجعية العلمية والقيادية، فلا يقدم المؤمنون قولًا أو فعلًا بين يدي الله وقول رسوله صلى الله عليه وسلم، فلا يقدّم أحد على القيادة الشرعية، ومن قدَّم على قول الرسول صلى الله عليه وسلم أو فعله فقد قدمه على الله تعالى؛ لأن الرسول صلى الله عليه وسلم إنما يأمر عن أمر الله تعالى، قال ابن كثير: «هذه آيات أدب الله تعالى بها عباده المؤمنين فيما يعاملون به الرسول صلى الله عليه وسلم من التوقير والاحترام والتبجيل والإعظام»[2].

3. حرمة الاستهزاء بسنن الرسول صلى الله عليه وسلم أو استخفاف أو اعتقاد بعدم صلاحية هذه السنن والآداب والتعاليم النبوية لواقعنا المعاصر، فالأدب يكون مع النبي صلى الله عليه وسلم في حياته وبعد وفاته، فالآية واضحة ولا تحتمل التأويل بوجوب التخلق بأخلاقيات المؤمنين، سواء عاصروا النبي صلى الله عليه وسلم أو لم

(1) ينظر: جامع البيان للطبري 337/21.

(2) ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير 364/7.

ISSN: 2462-2508

يعاصروه[1].

4. بناء الرقابة الذاتية لا الاكتفاء بالضبط الخارجي، فالأمر بالتقوى في خاتمة الآية أفاد أن الرقيب الداخلي هو الرادع والمعين على هذه الأخلاق والآداب، قال السعدي: «وفي ذكر الاسمين الكريمين -بعد النهي عن التقدم بين يدي الله ورسوله، والأمر بتقواه- حث على امتثال تلك الأوامر الحسنة، والآداب المستحسنة، وترهيب عن عدم الامتثال»[2].

5. تقديم النص على العقل والهوى، في زمن كثرت فيه الآراء والاجتهادات والفتاوى السريعة والآراء المنفلتة، فالآية تعيد ترتيب العلاقة بين الوحي والرأي، ويطبق هذا أيضا على الطالب فلا سيبق المعلم، وعلى المعلم فلا ينازع المتخصص، وبهذا يحصل الانضباط المنهجي في المجتمع الإسلامي.

ثانيًا: القيم المستخلصة من النداء الثاني في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ٢ ﴾:

1. تعظيم مقام النبي صلى الله عليه وسلم، وخفض الصوت حين الحديث مع الرسول صلى الله عليه وسلم تعظيمًا لقدره الشريف، واحترامًا لمقامه السامي، فإنه ليس كغيره من الناس، ومن واجب المؤمنين أن يتأدبوا معه في الخطاب مع التعظيم والإجلال، وخفض الصوت ليس المقصود به مجرد الصوت، بل المنزلة والمرجعية، قال الطبري: «نهاهم الله أن ينادوه كما ينادي بعضهم بعضا، وأمرهم أن يشرفوه ويعظموه، ويدعوه إذا دعوه باسم النبوة»[3]، فالآية تغرس التعظيم الواعي للرموز الشرعية دون غلو ولا جفاء.

2. قيمة الأدب في الخطاب والتواصل، فالآية تبرز المنهج الأخلاقي الذي يجب أن يقوم المجتمع على أساسه وهو الاحترام والتأدب وإعطاء كل ذي حقٍّ حقه وإنزال الناس منازلهم من التوقير والتعظيم، قال القرطبي: «الأدب مع الرسول صلى الله عليه وسلم أدب مع الشريعة كلها»[4].

3. حرمة النبي صلى الله عليه وسلم بعد وفاته كحرمته في حياته، وما جرت به العادة اليوم من اجتماع الناس قرب قبر النبي صلى الله عليه وسلم وهم في صخب ولغط وأصواتهم مرتفعة ارتفاعًا مزعجًا لا يجوز، ولا يليق، وقد شدد عمر بن الخطاب رضي الله عنه على من فعل ذلك، روي عن السائب بن يزيد قال: (كنت قائما في المسجد، فحصبني رجل، فنظرت فإذا عمر بن الخطاب، فقال: اذهب فأتني بهذين، فجئته بهما، قال: من أنتما، أو من أين أنتما؟ قالا: من أهل الطائف، قال: لو كنتما من أهل البلد لأوجعتكما، ترفعان أصواتكما في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم)[5].

(1) ينظر: التحرير والتنوير لابن عاشور 216/26.

(2) ينظر: تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص799.

(3) ينظر: جامع البيان للطبري 339/21.

(4) ينظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي 307/16.

(5) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الصلاة، أبواب: المساجد، باب رفع الصوت في المساجد، 179/1 برقم (458).

جامعة المدينة العالمية Al-Madinah International University
ISSN: 2462-2508

4. رفع الصوت بلا حاجة من سوء الأدب وهبوط الأخلاق، وقد وصى لقمان ابنه بقوله: ﴿وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ﴾ [لقمان:16]، وخفض الصوت من مكارم الأخلاق مع عامة الناس، وهو من أوجب الواجبات مع الوالدين والمعلمين والمربين.

5. خطورة السلوك غير المؤدب على العمل الصالح، فمن تعمد إساءة الأدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه يكفر بذلك، والدليل قول الله تعالى: (أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون)، فعلة منع رفع الصوت مخافة غضب النبي صلى الله عليه وسلم فيغضب الله تعالى لغضبه، فيعذب من لم يتأدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحبط عمله.

6. يسري هذا الأدب في وقتنا الحاضر وقت التحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو قراءة أحاديثه أو سيرته فيجب أن يكون المؤمن حينها في غاية الأدب والاحترام، وما نشهده اليوم من إساءة الأدب مع النبي صلى الله عليه وسلم باسم حرية الرأي، ورفع الصوت على المعلمين والمربين، وصخب المنابر وغياب الحكمة، لهو من المخالفة الصريحة للآية.

ثالثًا: القيم المستخلصة من النداء الثالث في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ٦﴾:

1. حرص الإسلام على أبنائه حتى لا يتسرعوا في تصديق ما يُلقى إليهم من أخبار، بل لا بد من التثبّت قبل الإقدام على معاقبة من يُظَن أنه مخطئ.

2. الحرص على وحدة المسلمين والبعد بهم عن الانسياق وراء الأخبار الباطلة حتى لا تحدث القطيعة والتمزق بسبب واش أثيم.

3. هذه الآية تعطي للمؤمن قيمة تنمية العقل النقدي وعدم الانسياق خلف الانطباعات أو العواطف، قال الشافعي: «فأمر الله مَن يمضي أمره على أحد من عباده أن يكون مستبينًا قبل أن يمضيه»[1].

4. هذه الآية تنمي في المؤمنين قيمة التثبت والتحقق من الأخبار، وهي القيمة الأساسية في الآية، قال القاسمي: «ثمرة الآية الكريمة: وجوب التثبت والتأني فيما يحتمل الحظر والإباحة»[2].

5. تبرز هذه الآية قيمة العدالة والإنصاف، في قوله تعالى: (أن تصيبوا قوما بجهالة)، فربطت الآية التثبت بمنع الظلم، قال السرخسي: «فقد أمر الله بالتوقف في خبر الفاسق وذلك منع من العمل بخبر الفاسق»[3].

6. هذه الآية تغرس العدل المعرفي قبل العدل السلوكي، فتوجب على المؤمن أن يتثبت من الأنباء قبل إقامة العدل والمعاقبة على الأخطاء.

7. تغرس هذه الآية قيمة تحمل المسئولية الأخلاقية، في قوله تعالى: فتصبحوا على ما فعلتم نادمين)، وفي الآية تنبيه إلى أن فساد الخبر أصل لكثير من الندم في الأفعال، فكل قرار مبني على معلومة خاطئة له تبعات أخلاقية ونفسية.

(1) تفسير الإمام الشافعي 1270/3.

(2) محاسن التأويل 282/3.

(3) المبسوط 32/25.

ISSN: 2462-2508

8. قيمة ضبط اللسان والإعلام، فهذه الآية تدل على تحريم الإشاعة، فالآفات اللسانية أكثرها منشؤه سوء الظن وقبول الخبر بلا تثبت.

9. قيمة الوقاية من الفتن الاجتماعية، فالآية تهدف لمنع النزاعات قبل وقوعها، فسد الذرائع أصل مقصود في الشريعة، وهذه الآية من أعظم أمثلته.

10. هذه الآية تطبق على واقعنا المعاصر في عصر الإعلام الرقمي ووسائل التواصل، ومع انتشار الأخبار العاجلة والحسابات الوهمية والذكاء الاصطناعي والتزييف العميق، فالآية تؤسس لمنهج التعامل مع هذا كله، فلا إعادة نشر، ولا تعليق قبل التحقق، ولو طُبقت هذه الآية لانهارت مصانع الإشاعات الإعلامية المعاصرة.

11. هذه الآية أصلًا قرآنيًا للأمانة العلمية أيضًا، فيجب التثبت في التوثيق، وتحكيم الدراسات، وفي المجال التربوي والتعليمي تؤسس لمبدأ العدالة الإجرائية في التربية الحديثة، فكم من معلم ظلم طالبًا بناء على إشاعة، وكم من شخص عوقب دون سماع الطرفين.

رابعًا: القيم المستنبطة من النداء الرابع في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ١١﴾:

1. قيمة صيانة الكرامة الإنسانية، فالآية افتتحت بالنهي عن السخرية، فالسخرية: الاحتقار والاستهزاء، وهي من أخلاق الجاهلية، فحفظ كرامة الإنسان أصل سابق لكل القيم الاجتماعية.

2. قيمة رفض التمييز والتفاضل الظاهري، فالتفاضل الحقيقي بالقيمة لا بالصورة، وبالباطن لا بالظاهر، قال تعالى: (عسى أن يكونوا خيرا منهم)، فالآية تقطع الطريق على دعوى التفاضل بالمال أو النسب أو الشكل.

3. قيمة المساواة الأخلاقية بين الجنسين، فجعل النهي عن السخرية للرجال والنساء، والخطاب الأخلاقي هنا شامل للجميع بلا استثناء، والمسئولية الأخلاقية واحدة، قال القرطبي: «أفرد النساء بالذكر لأن السخرية منهن أكثر»[1].

4. قيمة وحدة المجتمع وحرمة التمزق الداخلي، فقال: (ولا تلمزوا أنفسكم)، ولم يقل: إخوانكم، وعززت الآية مفهوم الهوية الجماعية بدل النزعة الفردية المفرِّقة، قال الواحدي: «ولا تعيبوا إخوانكم الذين هم كأنفسكم».

5. قيمة طهارة اللسان والخطاب، فالنبز بالألقاب يزرع البغضاء والضغينة ويهدم المودة، واللسان أداة بناء أو هدم، والتربية تبدأ بضبط اللسان.

6. قيمة خطر الانحراف الخُلُقي بعد الإيمان، فالإيمان ليس شعارًا بل سلوكًا منضبطًا وتهذيبًا للنفس والعمل، قال ابن القيم: «هو أقبح الوصف أن يجتمع الإيمان مع الخلق الفاسد».

(1) ينظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي 326/16.

7. قيمة التوبة والإصلاح، فالتوبة لا توصف بأنها سلوك فردي، بل هي ترميم للعلاقات، وإصلاح للمجتمع، فسمى ترك التوبة ظلما لدوام الأذى الاجتماعي.

8. هذه الآية نص قرآني مباشر ضد التنمر بكل صوره من استهزاء الطلاب ببعضهم، والألقاب الجارحة، والعنف اللغوي، فالآية تؤسس لبيئة تعليمية آمنة أخلاقيا، والقرآن يقدم أخلاقيات الخطاب العام، ويحث على أن يكون المؤمن أكثر وعيًا بأثر كلماته، ومتزنًا في خطابه، وهي تعالج أمراض القلوب الخفية، وتحمي تماسك المجتمع، وتربط الأخلاق بالإيمان.

خامسًا: القيم المستنبطة من النداء الخامس في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾:

1. قيمة سلامة القلب وحسن الظن، فالآية تربي المؤمن على نقاء القلب وعدم بناء الأحكام على الأوهام، فنهى الله عن كثير من الظن لأنه تهمة بغير حق.

2. قيمة التمييز بين الظن المذموم والظن المشروع، فعقل المؤمن يجب أن يقدر على التفريق بين الاحتراز العقلي وسوء الظن الأخلاقي، فالله تعالى قال: (كثيرا من الظن) ولم يقل: الظن كله.

3. قيمة احترام الخصوصية الإنسانية، وغرس احترام الحدود الشخصية بتحريم التجسس، فمن فتش عن سر أخيه أفسد قلبه وأساء إلى نفسه.

4. قيمة طهارة اللسان من الغيبة، فاللسان مرآة القلب، وتزكيته أساس الإصلاح الاجتماعي، فالغيبة ظلم محض، وهي محرمة في كل حال.

5. قيمة التربية بالتصوير النفسي المؤثر باستخدام الخيال الأخلاقي في تعديل السلوك، فشبه الغيبة بأقبح صورة لتقبيحها في النفوس.

6. هذه الآية دستور قرآني لحماية الخصوصية الرقمية وتحريم تتبع الناس، وتحليل نواياهم والتشهير والفضح، وهي تؤسس لبيئة تعليمية قائمة على الثقة والعدل والاحترام وترك سوء الظن وتداول الإشاعات، كما أنها تجعل من المؤمن إنسانًا نقي القلب رحيم اللسان واعيًا بحدوده الأخلاقية، فالشك يهدم البيوت، والظن يدمّر الثقة.

الخاتمة

الحمد لله في البدء والختام، والصلاة والسلام على سيد الأنام، وبعد: ففي ختام هذا البحث خلصت للنتائج التالية:

1. أظهرت الدراسة أن نداءات الإيمان في سورة الحجرات مثّلت بنية تشريعية متكاملة لبناء الشخصية المسلمة، تقوم على تدرّج مقصود يبدأ بتزكية علاقة المؤمن بالوحي والجناب النبوي، ثم ينتقل إلى تقويم السلوك الاجتماعي، ويختم بتطهير الداخل القلبي من آفات الظن

ISSN: 2462-2508

والاعتداء المعنوي، بما يؤكد أن الإصلاح القرآني يبدأ من مركز المرجعية وينتهي إلى أدقّ تفاصيل المعاملة.

2. ثبت من خلال التحليل التفسيري واللغوي أن تكرار النداء بـ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ في السورة لم يكن تكرارًا بلاغيًا محضًا، بل أداة منهجية لتفريق المقاصد السلوكية، وفصل المجالات التربوية، بحيث يُؤسَّس لكل أدب قرآني وازعٌ إيماني مستقل يمنع ذوبانه في غيره من الأحكام.

3. كشف البحث أن سورة الحجرات أقامت منظومة وقائية للأمن الاجتماعي تقوم على سدّ الذرائع الأخلاقية قبل وقوع الفتن، وذلك من خلال الانتقال المنهجي من معالجة العلل الباطنة (الظن) إلى الوسائل المفسدة (التجسس) ثم إلى الآثار الظاهرة (الغيبة والسخرية)، وهو ما يعكس سبق التشريع القرآني لمفاهيم الوقاية السلوكية المعاصرة.

4. أوضحت الدراسة أن الآداب الواردة في السورة ليست أحكامًا ظرفية خاصة بجيل الصحابة، بل قواعد عابرة للزمان والمكان، تمتد أحكامها إلى ما بعد وفاة النبي ﷺ، لتشمل التعامل مع السنة النبوية، والعلماء باعتبارهم ورثة الأنبياء، ومؤسسات التعليم والدعوة، مما يؤسس لمفهوم الاستمرار التشريعي للأدب.

5. بينت النتائج أن سورة الحجرات أعادت تعريف معيار التفاضل الإنساني والاجتماعي، فأسقطت الاعتبارات الشكلية والطبقية واللغوية، وربطت الكرامة والتفاضل بتقوى القلوب وسلامة السلوك، وهو ما يشكل أساسًا أخلاقيًا متينًا لبناء مجتمع متماسك خالٍ من مظاهر التنمر والتمييز والصراع الداخلي.

6. انتهى البحث إلى أن الربط بين الأخلاق والإيمان في نداءات السورة يقرر أن الانحراف السلوكي ليس خللًا اجتماعيًا فحسب، بل انكسارًا في البناء الإيماني، وأن استمرار المخالفات الخلقية دون توبة ينقل صاحبها من وصف الإيمان إلى دائرة الظلم والفسق، بما يعكس مركزية الأخلاق في قبول العمل وصحة الانتساب الإيماني.

وأوصي الباحث بما يلي:

1. يوصي الباحث بضرورة توسيع الدراسات التفسيرية التحليلية لسور الأخلاق القرآنية، ولا سيما سورة الحجرات، وربطها بالنظريات التربوية والاجتماعية المعاصرة، لإبراز سبق القرآن في بناء المجتمعات وضبط السلوك الإنساني.

2. يوصي البحث بإجراء دراسات مقارنة بين المنظومة الأخلاقية القرآنية في سورة الحجرات، وبين مواثيق السلوك المهني والتربوي الحديثة، لبيان أوجه التكامل أو التمايز، واستثمار القيم القرآنية في تطوير بيئات التعليم والدعوة والإعلام.

3. يدعو الباحث إلى الإفادة من نداءات سورة

ISSN: 2462-2508

الحجرات في إعداد مناهج القيم والآداب الإسلامية، وتضمينها في برامج إعداد المعلمين والدعاة والخطباء، بوصفها نصًّا مؤسسًا للأدب الشرعي والأمن الاجتماعي، لا مجرد مواعظ أخلاقية عامة.

فهرس المصادروالمراجع

1. أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، لابن هشام الأنصاري (ت: 761هـ)، تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، الطبعة الأولى، دار الفكر، دمشق، 1985م.
2. الأصول في النحو، لابن السراج (ت: 316هـ)، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1985م.
3. البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان محمد بن يوسف الأندلسي (ت: 745هـ)، تحقيق: عادِل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، 1993م.
4. البرهان في علوم القرآن، لبدر الدين الزركشي (ت: 794هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى، دار المعرفة، بيروت، 1957م.
5. البيان في عدِّ آي القرآن، لأبي عمرو الداني (ت: 444هـ)، تحقيق: غانم قدوري الحمد، الطبعة الأولى، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، بغداد، 1994م.
6. البيان والتحصيل، لابن رشد الجد (ت: 520هـ)، تحقيق: محمد حجي وآخرين، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988م.
7. التفسير الكبير = مفاتيح الغيب، لفخر الدين الرازي (ت: 606هـ)، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1999م.
8. التحرير والتنوير = تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، لمحمد الطاهر بن عاشور (ت: 1393هـ)، الطبعة الأولى، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984م.
9. الدر المنثور في التفسير بالمأثور، لجلال الدين السيوطي (ت: 911هـ)، تحقيق: عبد الله التركي، الطبعة الأولى، مركز هجر، القاهرة، 2003م.
10. الزهد، لعبد الله بن المبارك (ت: 181هـ)، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، 1983م.
11. شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، لعبد الرحمن الأشموني (ت: 900هـ)، ومعه حاشية الصبان، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، 1999م.
12. شرح الرضي على الكافية، للرضي الاستراباذي (ت: 686هـ)، تحقيق: يوسف حسن عمر، الطبعة الأولى، جامعة قار يونس، بنغازي، 1996م.
13. شذور الذهب في معرفة كلام العرب، لابن هشام الأنصاري (ت: 761هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الطبعة الأولى، المكتبة العصرية، بيروت، 1998م.
14. صحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل البخاري (ت: 256هـ)، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الطبعة الأولى، دار طوق النجاة، الرياض، 2001م.
15. غرائب التفسير وعجائب التأويل، لمحمود

ISSN: 2462-2508

الكرماني (ت: 505هـ)، تحقيق: شمران العجلي، الطبعة الأولى، دار القبلة، جدة، 1997م.

16. غريب الحديث، لأبي عبيد القاسم بن سلام (ت: 224هـ)، تحقيق: محمد عبد المعيد خان، الطبعة الأولى، دار الفكر، بيروت، 1981م.

17. فضائل القرآن، لأبي عبيد القاسم بن سلام (ت: 224هـ)، تحقيق: مروان سوار، الطبعة الأولى، دار ابن كثير، دمشق، 1995م.

18. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لجار الله الزمخشري (ت: 538هـ)، الطبعة الأولى، دار الكتاب العربي، بيروت، 1987م.

19. الكتاب، لسيبويه (ت: 180هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، الطبعة الثالثة، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1988م.

20. الكشف والبيان عن تفسير القرآن، للثعلبي (ت: 427هـ)، تحقيق: أبو محمد بن عاشور، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2002م.

21. لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن منظور (ت: 711هـ)، الطبعة الأولى، دار صادر، بيروت، 1990م.

22. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لعبد الحق بن عطية الأندلسي (ت: 542هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، 2001م.

23. محاسن التأويل، لمحمد جمال الدين القاسمي (ت: 1332هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الطبعة الأولى، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1957م.

24. المبسوط، لشمس الدين السرخسي (ت: 483هـ)، الطبعة الأولى، دار المعرفة، بيروت، 1993م.

25. المغني في النحو، لابن هشام الأنصاري (ت: 761هـ)، تحقيق: مازن المبارك، الطبعة الأولى، دار الفكر، دمشق، 1985م.

26. المقتضب، لمحمد بن يزيد المبرد (ت: 285هـ)، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، الطبعة الأولى، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 1994م.

27. المفصل في علم العربية، لجار الله الزمخشري (ت: 538هـ)، الطبعة الأولى، دار الجيل، بيروت، 1993م.

28. مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، لإبراهيم البقاعي (ت: 885هـ)، تحقيق: عبد الله دراز، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، 2000م.

29. معاني القرآن، للفراء (ت: 207هـ)، تحقيق: أحمد يوسف نجاتي، الطبعة الأولى، دار المصرية للتأليف والنشر، القاهرة، 1955م.

30. مختار الصحاح، لمحمد بن أبي بكر الرازي (ت: 666هـ)، تحقيق: محمود خاطر، الطبعة الأولى، دار المعرفة، بيروت، 1995م.

31. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، لإبراهيم البقاعي (ت: 885هـ)، الطبعة الأولى، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، 1969م.